حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الثالث ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٤هـ / تموز ـ ٢٠١٣م

٣

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

مسجد الكوفة المعظم سنة ١٩٣٥م يظهر فيها محراب أمير المؤمنين وبقية المحاريب المقدسة للأنبياء والصالحين

دور مسلم بن عقيل في حوادث الكوفة عام ٦٠هـ

الدكتور جعفر حسين حنوش
مكتبة آل حنتوش في النجف

لماذا الكوفة؟ وما هي ظروفها؟

كثرت الكتب والرسائل المرسلة إلى الإمام الحسين(عليه السلام) من أهل الكوفة، وتجاوزت أعدادها الآلاف وكل كتاب كان يحمل أسمين أو أكثر مما ادى بالإمام الحسين(عليه السلام) إلى إرسال ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة لاستطلاع حقيقة الامر هناك[١].

وسوف نشير إلى اسباب أرسال الإمام الحسين(عليه السلام) ابن عمه إلى الكوفة ودوافعها الدينية والاجتماعية وغيرها.

من الجدير بالذكر أن الكوفة بنيت عام ١٧هـ ومصرت لأقامة القبائل المتحركة على هامش الفتوح وكانت غالبية هذه القبائل هي من الاصول اليمنية التي أخذت تنخرط في الحملات العسكرية، في أعقاب القضاء على المرتدين في عدد من بقاع شبه الجزيرة العربية. فهذه القبائل وإن جاهدت تحت لواء الإسلام إلا أن الدين الاسلامي لم يتخذ طريقه أليها بسرعة، إذ بقيت مدة تعيش ما كان قبل الإسلام من الاجواء والمفاهيم، بدليل أنها في الكوفة على سبيل المثال، انتظمت في وحدات شبه مستقلة، حيث نزلت كل قبيلة في حي خاص بها مثل قبيلة مذحج وغيرها[٢]، وقاتلت كذلك بقيادة رئيسها على جبهات الفتوح، وجبهات الحروب الداخلية[٣]. وكان هذا التقليد ما يزال قائما حتى بعد ثورة الإمام الحسين(عليه السلام)[٤].

وكانت القبائل تتسلم ما تستحق من العطاء، وفقا للجدول الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب، الذي شهدت الخلافة في عهده استقراراً جعل هذه القبائل أكثر اندماجا في حركة الجماعة وأقل تشبثا بعصبيتها التي أقترنت بالماضي وأيامه[٥].

والذين سمعوا هذا الكلام، وهم من قبائل يمنية معروفة، وكان لهم دور بارز في فتوح العراق، فضلا عن الشام قبل ذلك (مالك الاشتر النخعي)[٦] وكان هذا أول المحتجين على أختزال السلطة في قريش، ومصادرة ولاة الخليفة حينذاك لمنجزات القبائل في «مراكز رماحها» على حد تعبيره[٧]. وكان ذلك مؤشرا خطيرا إلى الصراع الذي رهصت به تلك المرحلة، متخذا عدة اتجاهات، دون أن يكون الاتجاه السياسي، كما تنبئنا الروايات، هو الغالب فيها.

فالقبائل أو ممثلوها، وهم يمنيون في أكثرهم، كما سبقت الاشارة، قدموا إلى «المدينة» طلبا للاصلاح، ولم يكن في جعبتهم مشروع سياسي لمصلحة الخليفة من هذا الفرع أو ذاك من قريش، فقد كان في شعورهم بالحرمان، وتدهور أوضاعهم الاقتصادية مما دفعهم إلى اجتماع تطور إلى تمرد ذهب ضحيته الخليفة عثمان.

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٤٩.

(٢) ما سنيون، لويس، خطط الكوفة، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري، مطبعة الغري، (النجف، ١٩٧٨م)، ص ١١، ٢٥ص، ص٣٨.

(٣) المنقري، وقعة صفين، ص٩٧-٢٠٦.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٤٢٢.

(٥) ينظر: سيف بن عمر، الضبي الاسدي، (ت١٨٠هـ)، الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق احمد عرموش، دار النفائس، ط١١/، (بيروت، ١٩٧٢م)ص٣٧؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج٥، ص٤٠؛ بيضون، ابراهيم، ثورة الحسين حدثاً واشكاليات، شركة المطبوعات، (بيروت، ٢٠٠١م)، ص٤١.

(٦) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سليمة بن الاشتر النخعي المذحجي، روى عن خالد بن الوليد كان الاشتر من أصحاب علي ابن ابي طالب وشهد معه معركة الجمل وصفين ومشاهده كلها وولاه على مصر فخرج اليها فلما كان بالعريش شرب شربة عسل فمات (ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٥، ص٣٧٥).

(٧) نسب إلى سعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة قوله: «أن السواد بستان لقريش، فرد عليه مالك الاشتر بانتفاضة مخاطبا إياه بقوله: «أتجعل من مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستانا لك ولقومك» ينظر: سيف بن عمر، الفتنه ووقعة الجمل، ص٣٧.

ولم يعد هذا الصراع تجاذبا على الصعيد الفكري، حين ذهبت القبائل بعيدا نحو جذورها، وأخذ الإخباريون اليمنيون (وهب بن منبه وعبيد بن شريه وغيرهم....) تحت وطأة الهيمنة القرشية، يستذكرون تاريخهم، بما فيه من أصالة وتحضر، لم يدركهما عرب الشمال الذين تندرج فيهم القبيلة الحاكمة (قريش). على أن العنصر الاقتصادي يبقى البارز في حركة الحدث التاريخي الاسلامي في تلك المرحلة، خصوصا على مساحة الكوفة التي عانت متغيراته أكثر مما كانت البصرة، فالبصرة ما عدا فئة منها، لم تندرج في الاتجاه السياسي والفكري المعارض للحكم الاموي، في وقت ساعد موقعها الجغرافي الملائم على نمو التجارة بعد إذ أصبح طريق الشام-العراق سالكا وآمنا وهو اقصر الطرق التجارية التي تربط بالهند. مما ساعد على توفير حد معين من الرخاء الاقتصادي فيها كان بدوره عاملاً في استقرارها السياسي النسبي على الأقل.

بدأ في الكوفة توزيع الارض على القبائل النازلة وأدى ذلك إلى كثير من المشكلات المعقدة التي واجهتها الخلافة الراشدية وقد أتخذ الخليفة عمر بن الخطاب موقفا حاسما إزاء هذه المسألة لما رأى قلة خبرة العرب في الزراعة المروية، فضلا عن ان هذه تندرج في نظام تعاوني، ولا سيما ما يتعلق منها بتوزيع الماء، وهو أمر يتعارض مع النظام القبلي القائم على التنافر والمنافسة. والارض في عصر الخليفة عمرللقائمين عليها ولمن أحيوها[1].

وكان الخليفة عثمان لم يلتزم بهذه القاعدة فوزع الأراضي على بعض الصحابة الذين انحازوا إليه في البيعة[2]، وعلى آخرين من الاسرة الاموية، متجاهلا مطالب القبائل الكوفية التي عانت التدهور في أحوالها الاقتصادية، ولا سيما بعد ركود عمليات الفتوح، التي كانت حينذاك المصدر الاكثر أهمية لبيت المال، ومن ثم انحسار العطاء عن هذه القبائل التي أخذت تتجه إلى شيء من السلبية في مواقفها من السلطة.

لقد تفاقمت الازمة الاقتصادية في الكوفة خاصة عندما انتقلت الخلافة إلى بني امية، في وقت رأى معاوية بن ابي سفيان فيه اعتماد سياسة القوة في مواجهة المعارضة، مما يفسر الالحاح على زياد بن ابيه للانضمام إلى ادارته، مؤسسا حينذاك للنهج القائم على العنف والتخويف. وهذا يعني أن السلطة وجدت في ذلك أفضل الحلول وأسرعها للسيطرة على الوضع في العراق، ولاسيما على الكوفة، وترويض الناس على الطاعة والرضوخ للنظام[3].

وفي ضوئه لا يعود ملحا التساؤل عن استمرار الغالبية من قبائل الكوفة في الخط المعارض للحكم الاموي من «الصلح» إلى الثورة. ولم يكن لذلك أن يكون ممكنا بهذه الحماسة على الاقل، لولا تلك التجربة التي عاصرتها هذه القبائل مع الامام علي(عليه السلام) متأثرة بفكره ونهجه المفعم بالعدل والمساواة، فثمة قلة نجح الامويون في استقطابها، وكانت اكثر التزاما بمصالحها من ولائها لهم، في حين أن الاكثرية ظلت وفية لمبادئها التي عبر عنها الإمام الحسين(عليه السلام) في خطابه، دون أن تكون العلاقة به مبنية على الموروث السياسي والفكري فحسب بل أيضا على المنحنى الاصلاحي في خطابه والإمام الحسين(عليه السلام) كان يرى من هذا المنظور على التحديد، أن دوره يؤدي إلى تصويب المسيرة المنحرفة أو إلى تغيير واقع يستشري فيه الظلم والحرمان. ولم تكن انفرادة هذا الخطاب في تركيزه على هذه المسألة في بعدها السياسي (السلطة) فحسب، وانما كانت في بعديها الاقتصادي والاجتماعي، ولا سيما في توصيفه للحاكم بأنه «العامل بالكتاب والأخذ بالقسط والواثق بالحق والحاسب نفسه على ذات الله»[4].

ان رغبة التغيير في المجتمع الكوفي صارت رغبه ملحة وذلك بسبب وطأة الفقر والحرمان وضحالة العطاء، ومن اللافت هنا أن شخصية مثل شبث ابن ربعي التميمي[5]، كان منشقا عن جيش الإمام علي(عليه السلام) في معركة صفين[6]، لم يتردد في السير وراء مصالحه، سواء أكانت هذه المصالح في الجانب الاموي أم في الجانب الزبيري بعد ذلك. ومن هذا المنظور يعترف عبيد الله بن زياد[7] والي يزيد على الكوفة بعد قدومه اليها، بالحرمان الذي

(١) أنظر هذا السياق مقولة عمر بن الخطاب(رض): «أخاف أن قسمته (السواد) أن تفاسدوا بينكم في المياه» انظر: الهروي، الاموال، ص٨١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٢.

(٣) بيضون، ثورة الحسين، ص٤٣-٤٤.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨٢.

(٥) هو شبث بن ربعي اليربوعي التميمي، كان مؤذن سجاح المضرية مدعية النبوة ثم أسلم وكان ممن أعان على قتل عثمان بن عفان(رض) ثم صحب الإمام علي(عليه السلام) في واقعة صفين والنهروان، شهد على حجر بن عدي بالخروج على زياد، حضر قتل الإمام الحسين(عليه السلام) وكان على الرجالة في جيش ابن زياد، ابن حجر، الاصابة، ج٣، ص٢٧٣.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج٢، ص٢١٦.

(٧) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ولد في البصرة وكان مع والده لما مات في العراق، فقصد الشام فولاه عمه معاوية مدينة خراسان سنة ٥٣هـ وبقي فيها سنتين ونقله معاوية إلى البصرة أميرا عليها سنة ٥٥هـ وأمره يزيد على إمارتها حتى عام ٦٠هـ وكانت فاجعة كربلاء في أيامه وعلى يده وبعد هلاك يزيد بايع أهل البصرة لعبيد الله ابن زياد، ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه فهرب متخفيا إلى الشام ثم عاد يريد العراق فلحق به ابراهيم الاشتر فأقتتلا وتفرق أصحاب عبيد الله فقتله ابن الاشتر في خازر من أرض الموصل، الطبري، التاريخ، ج٤، ص٥٥١-٥٥٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣٤٥-٣٤٧.

تعانيه قبائلها، فيعدها بالعطاء الجزيل، وهذا الذي مكنه من السيطرة على زمام الامور وأحتواء عدد من المناصرين للثورة، ومن ثم استفراد العدد الآخر الذي واجه تحديات أربكته وعرقلت حركته في ذلك الوقت.

دفع هذا كله الإمام الحسين(عليه السلام) إلى الخروج معبرا عن رأيه السائر بخط جده وأبيه متلقفا الفرص الملائمة حيث الكوفة في موقفها الاجتماعي على الثورة، والوالي الاموي (النعمان بن بشير الانصاري)[1] القابع في قصر الامارة وحيدا «ليس يجتمع معه في جمعه وما يؤدى إليه الخراج»[2] الامر الذي يؤكد أن المؤقف لم يعد ممسوكا من جانب السلطة الاموية، وقد أجتمع حينذاك انصار الحسين(عليه السلام) في دار سليمان بن صرد الخزاعي، الذي يبدو أن زعامة التيار الشيعي في الكوفة قد انتقلت إليه بعد إعدام حجر بن عدي الكندي وأتخذ هؤلاء قرار الثورة الذي حمله إلى الامام الحسين(عليه السلام) في مكة أثنان من قادتهم (عبد الله بن سبع الهمداني[3] وعبد الله بن مسمع البكري)[4] وقد جاء في الكتاب الذي حملاه «نحن مقاتلون معك، باذلون أنفسنا من دونك، فأقبل الينا، مأموناً مباركا سديداً وسيداً وأميرا مطاعا إماما خليفة»[5].

وهكذا تبدو معالم الطريق أكثر وضوحا مما أدى بالامام أن يرسل إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل.

السفير مسلم بن عقيل في الكوفة:

كلف الإمام الحسين(عليه السلام) مسلم بن عقيل ليقوم بمهمة السفير ولنعرف هنا ما هو معنى السفاره: أن السفارة لغة مأخوذة من السفر والسفر بكسر السين: هو الكتاب الذي يسفر عن الحقائق والسفير: الرسول بين القوم يزيل ما بينهم من الوحشة والسفارة بالكسر: الرسالة فالرسول والملائكة والكتب مشتركة في كونها سافرة عن القوم بما اشتبه عليهم وفي حديث للامام علي بن الحسين(عليه السلام): «حق امامك عليك في صلاتك بأنك تعلم انه تقلد السفاره أي الرسالة بينك وبين ربك، والمقصود امام الجماعة واسطة بين المأموم وربه»[6].

وذكر الطريحي انه يمكن القول أن مسلم بن عقيل سفير للحسين(عليه السلام) إلى أهل العراق الذين ما فتأوا يرسلون الرسائل ويبعثون الكتب يدعونه إلى القدوم لقيادة الصفوف واعدادها للقتال.

حمل مسلم بن عقيل رسالة الإمام الحسين(عليه السلام) وانطلق بها إلى أهل الكوفة وقد احتوت رسالة الإمام في مضمونها تعريفاً بشخصية موفده مسلم بن عقيل بقوله: «وأني باعث اليكم اخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل فإن كتب الي انه قد اجتمع رأي ملئكم... على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت من كتبكم فأني أقدم اليكم وشيكا إن شاء الله..»[7]، والنص السابق يدلل على مدى ثقة الإمام الحسين(عليه السلام) بشخص مسلم واعتماده على قراره في تحديد امكانية الاعتماد على أهل الكوفة لأحداث التغيير.

كانت انطلاقة مسلم الاولى بالرسالة من مكة وقصد الكوفة وذلك في ليلة النصف من رمضان عام ٦٠هـ بأمر من الإمام الحسين(عليه السلام) بعد أن أمره بتقوى الله وكتمان أمره وان رأى الناس مجتمعين عجل له بذلك وكان برفقته ثلاثة أشخاص[8] وفي طريقه مر بالمدينة المنورة فصلى عند قبر رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ومن هناك استأجر دليلين فضلّ الدليلان الطريق في البادية وأصاب مسلما عطش شديد ومات الدليلان من شدة العطش[9].

وهنا وردت رواية لا تتلاءَم مع شخصية مسلم بن عقيل الذي جعله الإمام الحسين(عليه السلام) في درجة خاصة من أهل بيته أوردها الطبري وهي:

«فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى الحسين وذلك بالمضيق من بطن الخبت أما بعد فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي فجازا عن الطريق وضلا وأشتد علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا وأقبلنا حتى أنتهينا إلى الماء فلم ننج إلا

(١) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الانصاري من بني كعب بن الحارث أمه عمره بنت رواحه، أخت عبد الله بن رواحه، ولد قبل وفاة النبي(صلى الله عليه وآله) بثمان سنين وقيل بست وبعضهم يقول ولد وعبد الله بن الزبير عام اثنين من الهجرة، كان النعمان اميرا على الكوفة لمعاوية سبعة أشهر ثم اميرا على حمص لمعاوية ثم ليزيد فلما مات يزيد صار زبيريا مخالفا أهل حمص وكان ذلك عام اربع وستين هجرية: (ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص٦٠-٦١ ترجمة رقم ٢٦٤٣).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج٢، ص٢١٦.

(٣) عبد الله بن مسع الهمداني، وهو من همدان وله ذكر في ثورة التوابين بالكوفة عام ٦٥هـ (الطبري، التاريخ، ج٥، ص٣٥٢).

(٤) عبد الله بن مسمع بن وال التميمي من تيم بكر بن وائل له شرف، قتل في عين الوردة في ثورة التوابين مع سليمان بن صرد الخزاعي، الخوئي، ابو القاسم، معجم رجال الحديثة، مطبعة الآداب، (النجف، ١٩٧٠م)، ج١، ص٣٨١.

(٥) ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٤٦.

(٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٦٨؛ الطريحي، مجمع البحرين، ج٢، ص٣٧٩.

(٧) ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٥٣٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٩٥.

(٨) خرج برفقة مسلم بن عقيل من مكة ثلاث رجال هم: قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله الارحبي، الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٥٨.

(٩) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٤٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٣؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٥٤.

بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت[1] وقد تطيرت[2] من وجهي هذا فأن رأيت اعفيتني منه وبعثت غيري والسلام فكتب إليه حسين أما بعد فقد خشيت ألاّ يكون عملك على الكتاب الي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن فأمض لوجهك الذي وجهتك له والسلام عليك فقال مسلم لمن قرأ الكتاب هذا ما لست أتخوفه على نفسي»[3].

تفيد الرواية أن المبعوث قام باستئجار دليلين وهذان الدليلان انحرفا عن الجادة ذات ليلة، فقالا وقد تاها واشتد عليهما العطش والحر فانقطعا فلم يستطيعا المشي فقالا لمسلم وقد اتضح لهما سنن الطريق: عليك بهذا السمت فالزمه لعلك أن تنجو فتركهما مسلم ومضى على ذلك السمت ولم يلبث الدليلان أن ماتا عطشا[4].

وهنا توحي كلمة «ذات ليلة» إلى انهما ضلا الطريق بفعل الظلام؛ فيما ذكر بن اعثم«خوفا من الطلب»[5]، أي خشية مطاردة المبعوث من قبل اعدائه وهنا لابد أن نذكر بأنهما –أن وجدا– فهما لا يعلمان بطبيعة المهمة ولا ينبغي أن يعلما.

وهنا من المفترض انه ترتب على هلاك الدليلين أثر قضى بتوقف المسير –حسب مضمون الرواية– و أورد الراوي من أن مسلما كتب للامام «وقد تطيرت» و التطير هي حالة غير مرغوبة لعامة المؤمنين، فكيف يكون المتطير هنا هو الشجاع العالم الفقيه مسلم بن عقيل ولذا فإننا نرى أن الروايه لا يمكن القبول بها ليس لورود مفردة «التطير» أو «الجبن» لشخصية مسلم بن عقيل فحسب وانما لاسباب متعددة أخرى، اولا فالتطير ليس من المفاهيم المتبناة لدى آل البيت النبوي حتى يليق أن ينسب لاحد علمائهم وابرز فقهائهم وأشهر شجعانهم الذي يواجه الخوف ويصارع الموت غير هياب[6].

أما ورود كلمة الجبن فبتقدير أن بعض المواقف لا تمنع استعمالها أدبيا وذلك لأن الإمام يعرف شجاعة مسلم وأنما جاءت الكلمة وذلك في بعث روح النشاط وتهيج الشعور الحفاظي وإشتعال نار الحفيظة في الصدور[7].

وبعض المؤرخين لا يذكرها تماما «أما بعد: فقد خشيت أن يكون حملك على هذا غير ما تذكر فأمض لوجهك الذي وجهتك له، والسلام»[8]. وهناك جملة نقاط تستدعي الاهتمام وتساعد من التقليل من شأن الرواية منها:

الامر الاول: إن الإمام الحسين(عليه السلام) هو الذي سرح المجاهدين الثلاثة مع مسلم، فلم يغفل أمر الطريق في مهمة كهذه، فمرافقا مسلم ليسو من المكيين أو الحجازيين بل من الكوفيين الذين لا يخفى عليهم الطريق إلى مكة والعودة منها، فيمكنهم أداء دور الدليل لا سيما وهم حريصون على الكتمان كما وصّى الإمام بذلك[9].

والامر الثاني: بحكم مهنة الدليل في الطريق الطويل، يفترض بكل دليل توفير كافة مستلزمات السفر البعيد فضلا عن قابلية الصبر المكتسبة من ممارسته وبيئته الحارة كمناعته لمقاومة الصعاب وضد الضما، وإذا ضلاّ الطريق ليلا–كما في الاخبار الطوال– فهل عجزا عن تحمل العطش إلى نهار اليوم التالي؟.

الامر الثالث: ما مدى العلاقة العضوية والرابطة المادية بين الدليلين بحيث أدت تلك العلاقة دورا موحشا للغاية! إذ ضلا معا! وعطشا معا! وبلغ ظمؤهما كلاهما درجة الموت حقا! وفعلا ماتا معا! في وقت واحد ومكان واحد، ما هذه الآصرة بينهما وهذا الاتفاق على الموعد «الحزين»؟!.

الامر الرابع: كان الاجدر استئجارهما من مكة وليس من المدينة وطبيعة الارض واحدة؟ ثم لم يهدد الظمأ أحد الاربعه– مسلم ورفاقه الثلاثة– وقد عانوا نفس المعاناة وتاهوا بنفس الطريق تحت نفس الاجواء الحاره، وهل من المعقول والمقبول أن لديهم ماء يبخلون به على احد الدليلين...؟.

الامر الخامس: ثم ما هذه القابلية العالية لدى الدليلين، فبالرغم من انهما اشرفا على الممات لم يهملا تقديم الخدمات، إذ أشاروا لمسلم إلى سمت الطريق وسننه؟ فهل أن الذي يعاني سكرات الموت يعي ما حواليه؟ وهل لمن يحتضر أن ينتبه وينبه غيره لطريق الحياة؟ أي مقدرة هذه ام أي جفاء من لدن الاثنين اللذين لم يحركا ساكنا بشأن انقاذ الدليلين أو احدهما على الاقل؟.

وهناك ردود بصدد الرسالتين:

---

(١) الخبت: وهو بفتح اوله ما تضامن من الارض وخمض فاذا خرجت منه افضيت إلى سعة وهو بصحراء بين مكة والمدينة المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٣؛ أما الطبري فيقول (الخبيث)، ج٤، ص٢٦٣.

(٢) حالة التطير: هي حالة غير مرغوبة وهي ليست من علامات المؤمن ولذا يستبعد من مسلم التطير، (المقرم، الشهيد مسلم، ص٨٠).

(٣) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٤.

(٤) أبو مخنف، المقتل، ص١٩؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٤٤.

(٥) الفتوح، ج٥، ص٥٤.

(٦) شكك المقرم بالرواية من حيث ورود مفردة التطير، وقد فند نسبة التطير لمسلم ولعامة البيت المحمدي. وهناك بحث طويل كتب في هذا المجال ينظر: المقرم، الشهيد مسلم، ص٨٠–٩٧؛ المظفر، سفير الحسين، ص٥٧؛ القرشي، حياة الشهيد مسلم، ص١١٩.

(٧) المظفر، سفير الحسين، ص٥٧.

(٨) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٤.

(٩) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٣.

١- كيف ذهب المرسل-قيس الصيداوي حامل الرسالة - إلى مكة وعاد منها؟ وكيف أطمأن الطرفان على قطع الطريق الذي راح ضحية الغفلة فيه خبراء المواصلات ومحترفوا سلوك طريق السفر؟

٢- طالما أن الإمام الحسين(عليه السلام) لم يرفق الدليلين معهما، ولم يعلم بهما ضمن المرحلة، فما دواعي إخطاره عما حدث؟ لا سيما أن استمرار السفرة لم يكن مشروطا بسلامة أحد مرافقيها أو أدلائها.

٣- أن لهجة كاتب الطلب -مسلم- في رسالته، توحي إلى ارادة العودة وقوة رغبة الرجوع لديه، متمنيا اعفاءه أو استبداله بغيره، وصاحب هذه الرغبة- حسب ايحاء الرسالة- ينبغي أن يرجع بنفسه عائدا إلى مكة-لطرح الموضوع- وهو ما يناسب الموقف.

٤- أن تعقيب مسلم بن عقيل على رسالة الإمام الحسين(عليه السلام): «هذا ما لست أتخوفه على نفسي»[١]، - وفق هذه الرواية- فمم كان تخوفه مسبقا وما داعي اطمئنانه؟ فاذا استحصل على الطمأنينة من الإمام الحسين(عليه السلام) في صوابية توجهه، فأن الإمام بنفسه- وليس غيره - هو الذي وجّهه ابتداء حتى يتعين التماس رأيهُ ثانية.. أن تعقيب مسلم المنسوب له في هذه الرواية- يبدو غامضا ايضا، سيما انه لم يتوقف للاستفسار بل ينتظر استدعاءه لقبول الاستعفاء![٢].

٥-ثم أن هؤلاء الاربعة- مسلم ورفاقه- كيف تسنى لهم المضي قدما في الطريق؟ وأنى لهم معرفة ما تبقى من مسافة الطريق؟، وهي أطول مما قطعوه من المدينة إلى حيث وقعت «الواقعة» أليس من المناسب هنا أن يطلبوا دليلا جديدا؟

أو أن الإمام الحسين(عليه السلام) نفسه يبادر بارفاق دليل محترف، أو مجاهد خبير بالطرقات ضمانا لاتمام الوصول بسلام؟ وهو مالم يحدث، وإذا كانت الكفاية بالرفاق الفرسان الثلاثة فقد نوهنا في النقطة الاولى عن أهمية حضورهم معه منذ البدء.

٦-إما مضيق «الخبت»[٣] وهو مكان وقوع الحادثة فيفترض أن يكون موقعه بين المدينة والكوفة بينما ينص ياقوت على أن: «الخبت سهل في الحرة»: «وهو علم لصحراء بين مكة والمدينة»[٤].

(١) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٤.
(٢) عابدين، مبعوث الحسين، ص٩٢.
(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٣.
(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٣.

٧-لم نجد بالنسبة للزمن الذي تستغرقه هذه الرحلة من مكة إلى الكوفة كان قد مدد والمدة الطبيعية بين المدينتين هي عشرون يوما غالبا وهي في هذا السفر أستغرقت كذلك عشرين يوما دون تمديد، وهذا ما يعني انه لم يحدث أي تعويق يوجب التأخير خلال الطريق.

وأنا أجد أن هذه الرواية أرادت ما يلي:

١-الايحاء بأن تحرك المبعوث مسلم كان خاضعا لهواجس نفسية مزيجة من الخوف والتردد والاقدام، فتارة يتشاءم وأخرى يتفاءَل.. وهو إذ يتشاءم لعله مصيب في حسه فيعجز عن الرجوع بفعل الاوامر، وهو إذ يتفاءل بقتل عدوه - حينما رأى قتل رجل ظبيا..[٥]، فيظهر انه مخطيء في حسه- طبق فهم العامة لهذا التفاؤل، وهكذا نلمس حالة من التصرف بالمفاهيم السائدة الحساسة، بحبك حكاية تصب ضمن فلسفة مرتبكه تثير في أذهان المسلمين الريبة والتردد والارتباك وتقدم الشك، وتلغي اليقين لاضاعة التكليف، سيما التكليف الاصيل من مصدره النقي وهو الإمام الحسين(عليه السلام)[٦].

٢- أراد صاحب الرواية أن يجعل من مسلم بن عقيل مترددا ومتشائما وليس صاحب عقيدة وايمان لاداء المهمة التي كلفه بها الإمام الحسين(عليه السلام) وهذا يتنافى مع شخصية مسلم بن عقيل (عليه السلام) العالم العارف المؤمن فأراد صاحب الرواية أن يقلل من شخصية مبعوث الإمام الحسين(عليه السلام)، وما أكثر الروايات الموضوعة والتي شجعتها الدولة الاموية بغية النيل من آل محمد(صلى الله عليه وآله) وأتباعهم.

وأخيرا فنحن نتفق في أن الإمام الحسين(عليه السلام) كلف مسلما بمهمة لا يستطيع أن يتولاها أي احد لخطورتها وصعوبتها غيره، فهل يعقل أن يتخلى مسلم عن دوره بسبب يمر به كل سكان البادية وهو العطش وعناء الطريق على ما في هذه الرواية.

فلماذا أذن قبل تنفيذ هذه المهمة مسبقا، ولذا فأن هذا مستبعد وان مسلما مضى في ما أراده الإمام الحسين(عليه السلام) له في هذه القضية ووصل الكوفة بالوقت المحدد.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٤.
(٦) قيل أيضا أن مسلم بن عقيل استعفى الإمام الحسين(عليه السلام) بقوله: «يا ابن عم الناس كثير، فالله لا تلقى الله بدمي فقال له: لابد من مسيرك.. فسار» سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص٢١٧؛ وسواء ما نسبوه كان بمكة أو في الطريق بالمراسلة، فهو تصوير لاجبار (مسلم) الذي يخشى كثرة الناس والذي يلقي بتبعة دمه على الإمام الحسين(عليه السلام) كأن التعامل واقع طبق حسابات المصالح الشخصية.

وصل مبعوث الإمام الحسين(عليه السلام) مسلم بن عقيل إلى الكوفة وذلك في اليوم الخامس من شهر شوال عام ٦٠ هـ وصادف وصوله المدينة ليلا[١]، ونزل على رواية ابي مخنف في دار[٢] المختار بن ابي عبيدة الثقفي[٣] وذكر الطبري انه نزل عند ابن[٤] عوسجة[٥].

أما الدينوري فذكر أنه: «نزل في الدار التي تعرف بدار المختار بن ابي عبيدة، ثم عرفت اليوم بدار المسيب»[٦]. إلا أن بين النصوص القديمة ما يشير إلا انها دار المختار وهو ما ذكره ابن حبان: «ودخل الكوفة فلما نزلها دخل دار المختار بن ابي عبيد»[٧].

إلا أن هذا النص وما شابهه لا يخرج البحث من دائرة الالتباس ولا ينفي احتمال أن يكون صاحبه قد انساق مع السائد في ما بعد أي في فترة الاخبار بأحداث الكوفة عند دخول مسلم اليها: وان تلك الدار كانت آنذاك تعرف بـ«دار المختار» خاصة وان المختار قد اشتهر في الكوفة وغيرها بعد حركة التوابين عام (٦٥هـ). وإن ما يعزز ذلك هو وجود نص تاريخي قديم مختلف عن السائد، وهو ما أورده ابن شهر آشوب حيث يقول: «فسكن في دار سالم ابن المسيب»[٨].

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٥٤؛ الشاهرودي، مستدرك سفينة، ج٥، ص٢١٤.

(٢) مقتل الحسين، ص١٩؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٠؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٣٩.

(٣) هو المختار بن ابي عبيدة ابن مسعود الثقفي ابو اسحاق من الزعماء الثائرين على بني أمي من أهل الطائف، أنتقل إلى المدينة مع أبيه وبقي في المدينة منقطعا إلى بني هاشم تزوج عبد الله بن عمر بن الخطاب أخت المختار، وكان المختار مع الإمام علي(عليه السلام) بالعراق وسكن البصرة، قبض عليه عبيد الله بن زياد في البصرة وحبسه ونفاه بشفاعة ابن عمر إلى الطائف، ذهب إلى الكوفة بعد موت يزيد لأخذ الثأر من قتلة الحسين(عليه السلام) واستولى على الكوفة والموصل وتتبع قتلة الحسين، قتله مصعب بن الزبير بعد حرب بينهما سنة ٦٧هـ (ابن حجر، الاصابة، ج٦، ص٢٧٥-٢٧٨).

(٤) المقصود هنا (مسلم بن عوسجة) الاسدي من بني سعد بن ثعلبه استشهد مع الإمام الحسين(عليه السلام) في كربلاء عام ٦١هـ قتله مسلم بن عبد الله وعبيد الله بن خشكارة، كان صحابيا ممن رأى النبي(صلى الله عليه وآله) وكان يأخذ البيعة للامام الحسين(عليه السلام) بالكوفة، عقد له مسلم بن عقيل على ربع مذحج وأسد وكان قد شهد يوم أذربيجان وغيرها من الفتوح، الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٢٧٠؛ المغربي، شرح الاخبار، ج٣، ص٢٤٥؛ الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٢٢٢؛ شمس الدين، محمد مهدي، انصار الحسين، دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات، الدار الاسلامية، (د. م، ١٩٨١م)، ص١٠٨.

(٥) تاريخ الرسل، ج٤، ص٢٥٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣ ص٥٤؛ ابن حجر، الاصابة، ج٢، ص١٥.

(٦) الاخبار الطوال، ص٢٣١.

(٧) الثقات، ج٢، ص٣٠٧.

(٨) المناقب، ج٣، ص٢٤٢.

أما الفتال النيسابوري فيقول: «فأقبل مسلم حتى أتى الكوفة فنزل دار المختار بن ابي عبيد وهي التي تدعى دار سلام بن المسيب»[٩].

وهكذا نكون أمام ثلاثة اسماء للدار: مسلم وسالم وسلام، وأنا أرجح أن المقصود من ذلك هو أن هذه الدار كانت لمسلم بن المسيب فيما بعد والذي كان واليا على شيراز وقتل عام ١٢٨هـ[١٠].

وهنا ينبغي الوقوف مليا عند ثلاث نقاط هامة تجعل من البعيد جدا أن يكون مسلم بن عقيل قد نزل في بيت المختار ابن ابي عبيده منها:

اولا: أحتمال أن يكون تعبير «دار المختار» بمعنى الدار التي تعرف في عصر سرد الحادثة بهذا الاسم، وذلك بقرينة نص أبي مخنف والدينوري، وكون النصوص حول تحديد البيت الذي نزل فيه مسلم متعارضة، كما تقدم.

ثانيا: أن الإمام الحسين(عليه السلام) قد أوصى مسلم بن عقيل بأن ينزل في الكوفة عند «أوثق أهلها»[١١]، ومن المستبعد جدا أن يكون هذا الوصف ينطبق على المختار بن ابي عبيده في ذلك الوقت[١٢]، فقد روي أن المختار كان في زمن الإمام الحسن(عليه السلام) قد أقترح على عمه تسليم الإمام الحسن(عليه السلام) إلى معاوية[١٣]، كما أن المختار كان قد التحق فيما بعد بحركة عبد الله بن الزبير[١٤]. مما يجعل من الصعب أثبات استقامة المختار في الفترة الواقعة بين هدنة الإمام الحسن مع معاوية عام ٤١هـ وانتهاء حركة التوابين عام ٦٥هـ حيث أننا لا نملك دليلا من أن المختار كان منحازا لصالح الإمام الحسن أو الإمام الحسين(عليه السلام)، وفي هذه الفترة لا توجد نصوص تشير إلى المختار إلا هذين النصيين:

١-أن المختار دخل الكوفة قادما من قرية له، وكان ومن معه في وضع قتالي، وعلم بفشل هجوم مسلم بن عقيل على قصر الامارة مركزاً رايته بباب عمرو بن حريث مظهراً انه جاء للدفاع عنه، ثم اعتقل ويأتي ذلك الخبر في حصار قصر الامارة[١٥].

(٩) روضة الواعظين، ص١٧٣.

(١٠) الطبري، التاريخ، ج٦، ص٣٩.

(١١) ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٥٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ص١٩٥.

(١٢) الكوراني، حسين، في محراب كربلاء (حوادث الكوفة)، دار الهادي، ط/٢ (بيروت، ٢٠٠٣م)، ص٨٤.

(١٣) الطبري، التاريخ، ج٤، ص١٢٢.

(١٤) ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٢٧٣-٢٧٤.

(١٥) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨٦.

٢-أن المختار كان مسجونا مع ميثم بن يحيى التمار[١] الذي قال للمختار: «وأنت تخرج ثائراً طالباً بدم الحسين(عليه السلام) وتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدمك على وجنتيه»[٢]. وهذا الحديث هو الذي حدثه الإمام علي(عليه السلام) لميثم.

٣-أنه لم يسجل على الاطلاق أن المختار أدين أو اتهم بنزول مسلم بن عقيل في داره، ومن الواضح أن مثل هذا الامر لا يبقى طي الكتمان بعد القضاء على ثورة مسلم، وقد كان الذين التقوا بمسلم آلافاً مؤلفةً أتضح أن كثيرا منهم مؤيدون لبني أمية. ثم أن المختار نفسه عندما أتهمه ابن زياد بمعاونة مسلم انكر ذلك ولم يثبت عليه ذلك بقوله: «وأما نصرتي لمسلم بن عقيل فلم أفعل وهذا عمرو بن حريث المخزومي يعلم ذلك»[٣].

ولعل نص المسعودي يكشف لنا عن اسم صاحب الدار عند نزول مسلم فيها فقد قال: «فنزل على رجل يقال له عوسجه، مستترا»، وهذا ما ورد من أخبار ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) عن حفيده الإمام محمد بن علي الباقر(عليه السلام)[٤].

وذهب أحد المعاصرين إلى احتمال مفاده: «أن عوسجه هذا والد مسلم بن عوسجة، مما يجعلنا أمام أحتمال أن يكون هذا هو هو السبب الذي من أجله ركز معقل[٥] على مسلم بن عوسجة ليصل من طريقه إلى مسلم بن عقيل»[٦]. وذهب الشريف المرتضى أنه دخل دار هانيء بن عروه المذحجي اولاً[٧].

أما ابن كثير فكان أكثر تصريحا بأسم الشخص الذي نزل في داره مسلم بن عقيل: «فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الاسدي»[٨]، وعلى هذا فأن نزول مسلم في دار المختار مستبعد جدا، إلا أن نزوله في البيت الذي عرف في مرحلة تاليه بدار المختار هو الارجح عندي. ومما يؤكد ويعزز هذا الترجيح هو أن معقلا الذي تظاهر لمسلم بن عوسجة بأنه من الموالين، كان قد سمع الناس يقولون عن ابن عوسجة انه يبايع للامام الحسين(عليه السلام)، وذاك يشير إلى العلاقة المبكرة لمسلم بن عوسجة بمسلم بن عقيل[٩].

دخل مسلم بن عقيل في الكوفة متكتما، وبدأ يأخذ البيعة من أهلها للامام الحسين(عليه السلام) بأسلوبين، مباشر، أو عبر معتمدين أنتدبهم لذلك فقد ورد في ترجمة عدد من شهداء معركة الطف عبارة «وكان يأخذ البيعة»[١٠] كما وجد في تراجمهم.

لقد انثال أهل الكوفة يبايعون مسلم بن عقيل وكانت صيغة البيعة هي الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسمة الغنائم بين المسلمين بالسوية ورد المظالم إلى أهلها ونصرة أهل البيت والمسالمة لمن سالموا والمحاربة لمن حاربوا[١١].

وقد أختلفت الآراء في عدد المبايعين لمسلم بن عقيل، ومن الارقام التي ذكرت عن اعداد من بايعوا مسلم بن عقيل، فيذكر القول الاول أن عدد من بايع هم أثنا عشر الفا[١٢]، أما القول الثاني فالعدد ثمانية عشر الفا[١٣]، أما القول الثالث فيقول أن من بايع هم خمسة وعشرون الفا[١٤]. وهناك قول رابع هو أربعون الفا[١٥]، بايعوا مسلم بن عقيل في الكوفة. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى اطراد حركة البيعة وازديادها المستمر كما هو صريح عبارة ابن شهر آشوب[١٦] عند ذكره الرقم الثاني للبيعة، مما يجعل كل رقم يعبر عن مرحلة من مراحل البيعة.

إن بعض المؤرخين حدث عن أنصار الإمام الحسين(عليه السلام) في الكوفة وليس عن المبايعين له وبعضهم كان يقصد من كتب إلى الإمام بالقدوم فمثلا نرى ابن نما والذهبي والمجلسي يذكرون: «إن أهل الكوفة كتبوا إليه (يقصد الحسين) إن معك مائة ألف سيف»[١٧].

ومهما يكن عدد المبايعين لمسلم بن عقيل من مجتمع الكوفة

(١) ميثم بن يحيى التمار النهرواني يكنى أبا سالم كان يبيع التمر بالكوفة، كان صاحب للامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) وقد أطلعه الإمام علي(عليه السلام) على بعض العلوم، كان اسلامه قديما، حبسه عبيد الله بن زياد ثم بعد ذلك صلب على جذع نخله عام ٦٠هـ الثقفي، الغارات، ج٢، ص٧٩٧؛ ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص٢٩٢.

(٢) المفيد، الارشاد، ج١، ص٢٣٤؛ ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص٢٩٣؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٥٣.

(٣) ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٢٧٤-٢٧٦.

(٤) مروج الذهب، ج٣، ص٥٤.

(٥) هو معقل أحد جواسيس عبيد الله بن زياد وهو من أهل الشام، نقل الاخبار عن مكان ثورة مسلم، قتله جماعة من مذحج، (المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٢).

(٦) عباس القمي، نفس المهموم، مكتبة بصيرتي، (قم، ١٤٠٥هـ)، ص٨٣.

(٧) تنزيه الانبياء، ص٢٢٨؛ الذهبي، سير الاعلام، ج٣، ص٢٩٩.

(٨) البداية والنهاية، ج٨، ص١٦٣.

(٩) الدنيوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٦؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٠؛ ابو الفرج، مقاتل، ص٦٤.

(١٠) مثل مسلم بن عوسجه وحبيب بن مظاهر وعابس بن شبيب، الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٠؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٥٦-٥٧.

(١١) عابدين، مبعوث الحسين، ص١٠٠.

(١٢)المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٥٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٥٨؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٦، ص٤٢٤؛ ابن حجر، الاصابة، ج٢، ص٦٩.

(١٣) المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤١؛ ابن حبان، الثقات، ج٢، ص٣٠٧.

(١٤) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج٢، ص٤؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٣، ص٢٤٢.

(١٥) ابن نما، مثير الاحزان، ص١٧؛ الذهبي، سير الاعلام، ج٣، ص٣٠٧؛ العاملي، لواعج الاشجان، ص٣٨.

(١٦) المناقب، ج٣، ص٢٤٢.

(١٧) ابن نما، مثير الاحزان، ص١٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٣.

فأننا نريد أن نعرف الواقع السياسي والاجتماعي لهذا المجتمع، فالكوفة تختلف عن بقية الامصار ذات الشعوب المتجانسة نسبيا في هذه الجوانب، إلا أن مجتمع الكوفة انفرد بوجود خليط اجتماعي غير متجانس وتركيب شعبي معقد شديد التعقيد، افرز خراجا خاصا وأعطاها طابعها المتميز في التحرك والنكوص، في التقدم والتراجع.. فإذا أريد فهم مجتمع الكوفة يتحتم مراعاة مسألة التركيب الغريب الذي عكس تصرفات معينه طوال تاريخه.

وفيما يلي إشارات لهذا الجانب المهم، كالتركيب الديني والتباين المذهبي والاختلاف القومي والتنوع القبلي والتفاوت الطبقي... ومهما يكن من امر فأن مدينة الكوفة هي من المدن الحديثة التكوين المجتمعي في ذلك الوقت عام ٦٠هـ علما أن سعد بن ابي وقاص كان قد بناها بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب عام ١٧هـ[١].

أولاً: التركيب الديني:

سكنت في مدينة الكوفة شرائح اجتماعية ودينية متعددة بشكل واسع، وقد أختلفت طرق وصولهم وكيفية مجيئهم، فمنهم من جاء إلى الكوفة بمحض اختياره، ومنهم من وصل اليها بصفة أسرى حرب... ومنهم من جاء لغرض التجارة... ومنهم من أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من المدينة المنورة والحجاز.

ومن عناصر هذا التركيب:

١-اليهود: وهم اليهود الذين اجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من المدينة المنورة والحجاز إلى الكوفة علما أن تخطيط الكوفة وتمصيرها كان في عهده، وبانتقال اليهود إلى الكوفة نقلوا معهم موروثات حقدهم على الدين الإسلامي الحنيف[٢].

٢-النصارى: ويقسمون إلى طائفتين: النساطرة، واليعاقبة، لكل منهما أسقف خاص بالكوفة، وهم نصارى قبيلة تغلب الذين استوطنوا اثناء تخطيط الكوفة، ونصارى نجران، استقاموا بمحلة سميت باسمهم (محلة النجرانية)... ولهؤلاء آثار سيئة في أيام الولاة الأوائل، كالوليد بن عقبة الذي نصبه الخليفة عثمان بن عفان واليا على الكوفة وكان يشرب الخمر ويسقيها للنصارى[٣]، ويوفر لهم لحم الخنزير، وقد اتخذ أحد النصارى موظفاً لإدارة شؤون مسجد الكوفة!! وجعل نصرانيا آخر مديراً للسجن! حتى أن أبا موسى الأشعري - الذي كان والياً للكوفة بعد الوليد- اتخذ له كاتباً نصرانياً! دون وجود ضرورة لذلك وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد نهى الولاة عن فعل ذلك[٤].

٣-الصابئة: وقد مكثوا بالكوفة وكان لهم وجود فيها.

٤-المجوس: وبعض الديانات القادمة مع اسرى الحروب التي كان يعتقد بها بعض أو يعتنقها ولها أنصارها ومؤيدوها. ومما لا ريب فيه أن وجود هؤلاء في مجتمع مسلم يؤثر على جميع شؤونه سيما إذا كان المجتمع بحاجة إلى تركيز فكر دينه وأصول عقيدته فكيف -والحالة هذه- أن التحقيقات والدراسات التاريخية تكشف لنا عن كون الولاة -عمال الخليفة- هم أنفسهم يشجعون وجودهم ويطلقون لهم عنان الأعمال المتعددة[٥].

ثانياً: التركيب السياسي:

لم يكن مجتمع الكوفة موحداً وذلك بتأثير العناصر القومية والتحزب السياسي الذي أقلق الواقع العام للمجتمع العربي الاسلامي فضلا عن واقع التركيب الديني في مردوده السلبي داخل الكوفة.. ومن أبرز هذه الاتجاهات هم: الخوارج وأنصار الأمويين وانصار العلويين والجماعات المناوئه للأمويين[٦] وكذلك توجد اتجاهات أخرى محدودة النطاق ذات التأثير الملحوظ في المجتمع كالجبرية والقدرية والمرجئة والمفوضة، فضلا عن الغلاة الذي غالوا بالامام علي(عليه السلام) حتى قطع دابرهم بيده بعدما أبوا الخضوع للموعظة... فالميول السائدة في الكوفة - رغم أختلافها كما ونوعا-قد أفقدت المجتمع الكوفي وحدة الرأي وقوة الموقف[٧].

ثالثا: التركيب القومي والاجتماعي للكوفة:

تمتعت الكوفة بموقع عسكري مهم، فقد كانت محطة للجيوش ومنطلقا لها وبالتالي فهي مأوى جميع الاسرى، فتكاثر عدد غير العرب بتكرار المعارك والحروب، فأمتلأت بهم أسواق النخاسة، كما لم يعاملوا المعاملة الاسلامية المقررة في الشريعة الاسلامية السمحاء، إذ أن من يسلم منهم يبقى انسانا أدنى من العربي الذي يسلم، ويشهد بذلك عصر معاوية الذي

(١) الطبري، التاريخ، ج٤، ص١٤١؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٥١٧.

(٢) التلاوي، حسين، (الدكتور)، الكوفة حتى نهاية العصر الأموي، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق كلية الاداب، (دمشق، د. ت)، ص٩٣-٩٤.

(٣) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٥، ص٣٢-٣٥.

(٤) ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج١، ص٤٣.

(٥) العلي، احمد صالح، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، دراسة في الاحوال العمرانية وسكانها وتنظيماتها، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، (بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ص١٢٨-١٢٩؛ عابدين، مبعوث الحسين، ص٥٨-٥٩.

(٦) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، تعريب امين فارس، دار العلم للملايين، ط١١/، (بيروت، ١٩٦٠م)، ج١، ص١٤٧.

(٧) عابدين، م. ن، ص٦٠.

بلغ ذروة التعامل التعسفي معهم، لما أثار النعرات القومية لتكون معول هدم للاسلام الحنيف إذ فرض معاوية الجزية على كل من يسلم من الاعاجم مما سبب البغض للدولة الاموية[1].

أما ابرز القوميات المتواجدة في مدينة الكوفة فهي:

١-الاتراك: وكان لهم وجود في الكوفة قليل في منتصف القرن الاول الهجري.

٢- الاكراد: وكانوا ضمن المجتمع الكوفي وهم أقلية في النصف الثاني من القرن الاول الهجري.

٣-الفرس: وهم أعلى نسبة بين القوميات، ورد عنهم: أنهم كانوا أكثر من نصف السكان، مما دفع بزياد بن ابيه أن يوزع منهم في البصرة والشام[2].

٤-الروم: ويشكلون النسبة العددية الثانية بعد الفرس.

٥-السريان: جاؤوا من نصيبين وجند نيسابور وحران وذلك قبل الفتح الاسلامي للعراق. وسكن الكوفة قسم من الاشوريين والارمن وأقليات قومية اخرى ممن لها صفات خلقية خاصة بها، جاءت حاملة معها عاداتها وتقاليدها ومجمل مردوداتها النفسية والسلوكية[3].

إمتازت الكوفة بالتنوع القبلي في أول تخطيطها وبتقسيم خاص، فأستوطنت القبائل وفق تقسيم سباعي، يضم كل سبع قبيلة أو أكثر مع حلفائها، كالتالي:

١-قبيلة كنانة وحلفاؤها من الاحابيش وغيرهم، كانوا يوالون السلطة.

٢-قضاعة وغسان وخثعم، وكندة وحضرموت والازد.

٣-مذحج، وحمير وحمران وحلفاؤهم، وهم يعارضون السلطة.

٤-تميم والرباب وحلفاؤهم.

٥-أسد، غطفان، ظبيعة، تغلب، النمر ومحارب.

٦-أياد، عبد شمس، وعك، أهل هجر والحمراء.

٧-طي اليمانية، اتخذت لنفسها الرقعة السابعة من التقسيم..

وان لهذا التركيب القبلي أثر ملموس في موازين العمل السياسي، سيما أن القبائل متباينة الميول حيال الحكومة المحلية والسلطة المركزية، علما أن نفوذ الوالي على أغلب زعماء القبائل كان ملحوظا[4].

رابعاً: التركيب الطبقي:

أما فيما يتعلق بالتفاوت الطبقي في مجتمع الكوفة فاننا نشير إلى الطبقات التي لوحظ لها تأثير في الاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية:

١- طبقة الاشراف والاعيان والوجهاء وهم-عدا القليل- متواطئون مع الوالي، أو مع القوة التي يحتمل أنها سوف تمسك بزمام الامور في الكوفة، ومن أمثال هؤلاء محمد بن الاشعث ورفاقه الذين أرسلوا الكتب للامام الحسين(عليه السلام) للمجيء لظنهم بحتمية التغير المرتقب ثم بعد ذلك نكلوا البيعة، ونلاحظ أن لهؤلاء الزعماء القوة المؤثرة في قبائلهم.

٢- طبقة الموظفين التابعين لقصر الامير كالشرطة والجلاوزة، والمناكب والنقباء والعرفاء، ممن بيدهم أحصائيات الناس، بحسب محلات سكناهم، وقوائم اسمائهم، يراقبونهم أو يلقون القبض عليهم، وهذه الطبقة هي مسخرة للسهر على أمن السلطة والسلطان، وتحصي أنفاس الناس وحركاتهم.

٣- طبقة الكسبه وذوي الاعمال الحرة والعمال وأصحاب الدكاكين في الاسواق وهم الطبقة الكادحة، الذين طالما يسوء حالهم لفساد الموظف الرسمي الخاص بمراقبة سوقهم، ودائما في حالة شعورهم بالظلم كانوا يرشحون أحدهم وذلك ليمثلهم في الشكوى المقدمة أمام الوالي الاموي[5].

٤-طبقة العبيد والموالي، وهي الطبقة الفقيرة والمسحوقة في مجتمع الكوفة والواقعة تحت طائلة التحقير والاستغلال والذل، وقد لاقت هذه الطبقة الاحتقار والذل في زمن الدولة الاموية بعكس ما كان الإمام علي(عليه السلام) ينصفهم ويحترمهم كما يحترم طبقة الاشراف وان الكثير من اصحاب الإمام علي(عليه السلام) من هؤلاء كأمثال، ميثم

(١) الاعرجي، محمد حسين، (الدكتور)، الشعر في الكوفة منذ أواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، (بغداد، ١٩٧٣م)، ص٢٦؛ (طبعة المانيا ٢٠٠٧م).

(٢) عابدين، مبعوث الحسين، ص٦١؛ الخربوطلي، علي حسين، (الدكتور)، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٥٩م)، ص٥.

(٣) الاسدي، كريم مرزه، تاريخ الحيرة... الكوفة، الاطوار المبكرة للنجف الاشرف، مطبعة العرفان، (النجف، ٢٠٠٧م)، ص١٦٠؛

يوسف خليف (الدكتور)، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٦٨م)، ص٢٣٢.

(٤) الطبري، التاريخ، ج٣، ص٤٠؛ ج٤، ص١٩٩؛ عابدين، مبعوث، ص٦١.

(٥) الاعرجي، الشعر، ص٢٧.

التمار، وقنبر[1] وغيرهم الكثير[2].

٥-طبقة الجند الذين تصرف لهم العطاءات من بيت المال وذلك لانصرافهم إلى الغزو والقتال وكانوا دائما يطيعون أوامر الولاة والحكام بلا معارضة أو نقاش حتى ولو كان الامر يتعلق بقتال المسلمين واستباحة المحرمات وكما فعل ابن زياد في محاربته سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي(عليه السلام) وكان يهددهم بالتجويع والاعدام واستباحة عائلة المرتزق[3].

٦-وهناك طبقة القضاة، ورجال الدين وهم طبقة مترفه-إن صح اعتبارهم طبقة وذلك لقلة عددهم، وكان من أبرزهم شريح القاضي[4] الذي استفتاه عبيد الله بن زياد في قتل الإمام الحسين(عليه السلام) باعتباره خارجياً فوافق على ذلك ولم ينكره وذلك طمعا في المنصب وعدم خشية الله في الحكم[5].

هذه صورة عن طبيعة المجتمع الكوفي في منتصف القرن الاول الهجري، يظهر منها أن المجتمع منقسم ولم يتوحد على رأي واحد، ولذا يلاحظ التغير في المواقف بين وقت وآخر.

أطمأن مسلم بن عقيل لأخلاص أهل الكوفة فكتب للامام الحسين(عليه السلام) يخبره بمبايعة العدد الذي ذكرناه سابقا من أهل الكوفة وطلب منه القدوم إليهم[6].

إن تجمع المبايعين من أهل الكوفة لمسلم بن عقيل كان سببا في جعل النعمان بن بشير الانصاري والي الكوفة يشعر بالخوف ولذا فقد جمع النعمان الناس في مسجد الكوفة وصعد المنبر فحمد الله وسبحه، وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فأتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة فإن فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغتصب الاموال، وأني لا أقاتل من لا يقاتلني ولا آتي على من لم يأت علي ولا أنبه نائمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقذف ولا الظنة، ولا التهمة، ولكنكم أن أبديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا اله غيره لاضربنكم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرد به الباطل»[7].

ومن الطبيعي أن يستفز هذا الموقف من الوالي أتباع الامويين[8] في الكوفة، إذ لم يعر لها أي احد الاهتمام مما دعا بهؤلاء الاتباع أن يكتبوا إلى يزيد بن معاوية يحذرونه مغبة أهمال الامر الذي استفحل بازدياد أقبال الناس على مسلم بن عقيل ويقترحون عليه عزل النعمان بن بشير عن ولاية الكوفة وابداله بوال غيره اكثر شدة وعزما[9].

وصلت كتب أتباع الامويين إلى يزيد بن معاوية، فأستشار يزيد مستشاره السياسي سرجون[10] والذي سبق وأن كان مستشارا لابيه معاوية، فنصح سرجون يزيد بتولية ابن زياد الكوفة، وأخرج له كتابا من معاوية كان قد كتبه بهذا الشأن[11].

كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد، وكان واليا على البصرة بأنه قد ولاه الكوفة وضمها إليه ويعرفه أمر مسلم بن عقيل وأمر الإمام الحسين(عليه السلام) وشدد عليه في تحصيل مسلم بن عقيل وقتله فتأهب عبيد الله للمسير إلى الكوفة[12]، وفي رواية الذهبي أنه قال له: «أن كان لك جناحان فطر بهما إلى الكوفة»[13].

وصل ابن زياد الكوفة ودخلها ليلا: «فلما قرب من الكوفة تنكر ودخلها ليلا وأوهم أنه الحسين ودخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز»[14].

أي أن ابن زياد دخل الكوفة من جهة النجف ليظن الناس انه قادم من جهة الحجاز وكان قد لبس عمامة سوداء[15].

---

(١) هو قنبر مولى أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) ومن حجابه قتله الامويين بعد وفاة الإمام علي(عليه السلام)، (المفيد، الارشاد، ٢، ص٤٠).

(٢) عابدين، مبعوث، ص٦٠؛ الاعرجي، الشعر، ص٢٧.

(٣) عابدين، المصدر نفسه.

(٤) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية من كندة وكنيته ابو امية، أصله من اليمن، ولي القضاء بالكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي(رض) وأيام معاوية واستعفى في أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧هـ توفي عام ٧٨هـ وكان جالسا عند عبيد الله بن زياد عندما دخل هانيء بن عروة عليه، ابو الفرج، الاغاني، ج١٠، ص٢٧؛ مزاحم مهدي، القاضي شريح وآراؤه الفكرية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الشريعة، جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٨ ص٣٣).

(٥) القرشي، الإمام الحسين(عليه السلام) ج٢، ص٤٢.

(٦) ابو مخنف، المقتل، ص٥١؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨١.

(٧) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٤؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤١.

(٨) كتب إليه عبد بن مسلم الباهلي وعماره بن الوليد وعمر بن سعد بن ابي وقاص، (الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٥٨).

(٩) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٢٦٧؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٦، ص٤٢٣.

(١٠) سرجون النصراني: كان كاتب معاوية ابن ابي سفيان وصاحب سره، وكتب بعده ليزيد وكان ينادم يزيد على شرب الخمر. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٠، ص١٦١.

(١١) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٥؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٦٠؛ ابن الاثير، عز الدين علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ)؛ الكامل في التاريخ، تحقيق، خليل مأمون، دار المعرفة، (بيروت، ٢٠٠٨م)، ط/٢، ج٣، ص٤٧٧.

(١٢) ابي مخنف، مقتل الحسين، ص٥٣.

(١٣) الذهبي، سير اعلام، ج٣، ص٢٠؛ ابن حجر، التهذيب، ج٢، ص٣٠١.

(١٤) ابن الصباغ، علي بن احمد المالكي المكي، (ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الائمة، تحقيق جعفر الحسيني، المجمع العالمي لاهل البيت، (قم، ١٤٢٧هـ)، ص٢٧٩.

(١٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٧؛ ابن الصباغ، الفصول، ص٢٧٩.

إن ذكر الطبري: «أن مسلم بن عقيل قدم قبله -يعني ابن زياد- بليلة وأنه بناحية الكوفة»[1]، لا يمكن قبوله وذلك كون مسلم بن عقيل دخلها قبل بن زياد بكثير وأصبح الناس ينتظرون قدوم الإمام الحسين(عليه السلام) إلى الكوفة وذلك بعد وصول كتاب مسلم بن عقيل إليه يخبره عن عدد المبايعين، ولم يكن عند ذاك أن ولاها يزيد ابن زياد إلا بعد وصول كتب الامويين إليه تدعوه لتولية الكوفة واليا غير النعمان، وهنا أحتمال أن مسلم بن عقيل قد دخل الكوفة قبل ابن زياد بحوالي عشرة أيام على أقل تقدير، أو ربما اكثر من ذلك[2].

عند دخول ابن زياد الكوفة معتما بعمامة سوداء ومغطيا وجهه بلثام مخفيا حقيقته وبعد أن انتظر حلول الظلام دخل الكوفة واستقبله الناس بحفاوة ظنا منهم أنه الأمام الحسين(عليه السلام) بقولهم: «مرحبا يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم»[3].

تمكن ابن زياد بهذه الحيلة من دخول قصر الامارة[4] في الكوفة، وفي اليوم التالي جمع الوالي الجديد أهل المدينة في مسجد الكوفة وأخبرهم بانه قدم إليهم للوقوف على مطالبهم والحد من الفتنة وانذرهم بأنه سيستخدم البطش ضد المخالفين بقوله: «أما بعد فان امير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بإنصاف مظلومكم... والاحسان إلى سامعكم ومطيعكم وأمرني بالشدة على مريبكم وعاصيكم وأنا متبع فيكم أمره على من خالف امري وترك عهدي، فليبق امرؤ على نفسه، الصدق ينبئ عنك لا الوعيد»[5].

وفي رواية الدينوي: «أني لمطيعكم كالوالد الشفيق ولمخالفكم كالسم النقيع فلا يبقين أحد منكم إلا على نفسه»[6].

وفي رواية ابن نما يهدد عبيد الله مسلم بن عقيل دون ذكر اسمه: (فأبلغوا هذا الرجل الهاشمي مقالتي ليتقي غضبي»[7]. فلما بلغ الخبر مسلم بن عقيل، خاف على نفسه من الاشتهار فخرج من دار مسلم بن عوسجه التي سميت دار المختار بن ابي عبيد، فيما بعد وقصد دار الصحابي هانيء بن عروة المرادي[8]، فأواه وكثر اختلاف الشيعة إليه[9].

وقد تجنب ابن زياد ذكر اسم مسلم كما في النص السابق ذكره لكونه لم يسيطر على الوضع في الكوفة، وأنه لم يستعمل في هذه المرحلة إلا صيغة «بغية أمير المؤمنين»[10].

وقد استخدم ابن زياد مصطلح الرجل الهاشمي مرة ثانية كما سوف تمر علينا.

وقد تنكر ابن زياد من انه لم يعرف احدا منهم عندما رحبوا به متنكرا بعبارة الإمام الحسين(عليه السلام) فقال: «أيها الناس، اني لأعلم انه سار معي وأظهر الطاعة لي من هو عدو للحسين حين ظن أن الحسين قد دخل البلد وغلب عليه، والله ما عرفت منكم أحدا ثم نزل»[11]. وهو بهذا القول أراد طمأنة الناس من أنه لم يعرفهم وأراد أن يحيدهم في المرحلة الاولى ثم بعد ذلك يستميلهم إليه.

وقد حدد ابن زياد في خطابه الاول الجانب العلني من الخطوط العامة لسياسته في الكوفة التي أوضحت ممارسته، ومكنته بالتالي من تحقيق تغيير الرأي العام الكوفي فكانت بمجموعها عبر طرق منها:

الطريق الأول: إعلان الاستعداد والإنذار:

وهي أن وضع ابن زياد كان وضعا استثنائيا في الكوفة، حيث شدد الرقابة والمفارز على السكك، وأقام الحواجز على الطرق العامة والخاصة، وداهم بعض البيوت الموالية لأهل البيت(عليهم السلام)، وقام بالقتل على الظن والتهمة. وبعد أن نزل من المنبر وطمأن الناس إلى أنه لم يعرف أحداً منهم: «أخذ بالعرفاء[12] أخذا شديدا»[13]. وقال لهم: «أكتبوا لي الغرباء ومن فيكم من طلبة

(١) التاريخ، ج٤، ص٢٦٨.

(٢) الكوراني، في محراب كربلاء، ص١١٨.

(٣) المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٣؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٧٨. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٣٠١.

(٤) قصر الامارة: هو أقدم بناية حكومية شيدت في الإسلام، بناها سعد بن ابي وقاص، وقد اندثرت معالمه كما اندثرت معالم الكوفة ما عدا الجامع، القرشي، حياة الإمام الحسين، ج٢، ص٣٥٧.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٤.

(٦) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٢.

(٧) ابن نما، نجم الدين محمد بن جعفر، (ت ٦٤٥هـ)، مثير الاحزان، المطبعة الحيدرية، (النجف، ١٩٥٠م)، ص٢٠.

(٨) هانيء بن عروة الغطيفي المرادي: من قبيلة مذحج سادات الكوفة وأشرافها، أدرك النبي(صلى الله عليه وآله) وصحبه وهو من أصحاب وخواص أمير المؤمنين الامام علي(عليه السلام)، شارك في حروب الجمل وصفين والنهروان، وهو من أركان حركة حجر بن عدي الكندي ضد زياد بن ابيه، قتله عبيد الله بن زياد في اليوم الثامن من ذي الحجة عام ٦٠هـ وبعث برأسه مع رأس مسلم بن عقيل إلى يزيد بن معاوية. ينظر: ابن حبيب المحبر، ٤٨٠؛ ابن الاثير الكامل، ج٤، ص١٠-١٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٨٢.

(٩) الاخبار الطوال، ص٢٣٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٨٩؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٣١٠.

(١٠) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٤-٤٥.

(١١) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٨.

(١٢) العرفاء: مفردها عريف وهو مصطلح في النظام الاداري آنذاك يعني المختار المكلف إداريا بشؤون فريق من الناس في منطقة معينة، وكان يجعل للعرفاء رؤساء يقال لهم المناكب، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١، ص١٩٤؛ العاملي، محسن الامين، لواعج الاشجان، مكتبة بصيرتي، (قم، د. ت)، ص٤٥؛ الكوراني، في محراب كربلاء، ص١٤٢.

(١٣) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٤-٤٥.

أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية[1] ومن فيكم من أهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، ثم يجاء بهم لنرى رأينا فيهم، ومن لم يكتب لنا أمرا فليضمن لنا في عرافته، ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا دمه وماله، وايما عريف وجد في عرافته من (بغية أمير المؤمنين) أحد، لم يرفعه الينا صلب على باب داره وألغيت تلك العرافة من العطاء وسير إلى موضع بعمان[2] الزارة»[3].

والهدف هنا واضح وهو أن ابن زياد كان هدفه هو القاء القبض على مسلم بن عقيل وهو المقصود ببغية أمير المؤمنين، وفعلا نفذ ابن زياد خطته وداهم البيوت وقتل الناس على الظن والتهمة وفي ذلك يقول ابن الصباغ: «وأمسك جماعة من أهل الكوفة فقتلهم في تلك الساعة»[4].

الطريق الثاني: هو العمل الأمني:

وهذا العمل يقتضي نشر عدد كبير من الجواسيس والمخبرين السريين وذلك لرفع التقارير والمعلومات الأمنية إلى الوالي في قصر الإمارة حول الأحداث اليومية في الساحة الكوفية وخاصة رصد تحركات مسلم بن عقيل وجماعته ومكان تواجدهم بغية مهاجمة ابن زياد لهذه المجموعات والقضاء عليها.

لم تذكر المصادر التاريخية عدد المخبرين والجواسيس وأماكن تواجدهم إلا أن اغلب الظن انهم كانوا موجودين في المفاصل الاجتماعية والسياسية المهمة، ولم يكن الجاسوس معقل إلا واحدا من هؤلاء الجواسيس، تفرد من بينهم للوصول لمسلم بن عقيل والدخول عليه يوميا، والتواجد عنده أو على مقربة من مقره وحتى ساعات متأخره من الليل.

وكدليل على أن ابن زياد كان يحصل على هذه المعلومات المهمة من هؤلاء الجواسيس وقد أكد في رسالة إلى يزيد بذلك: «الحمد لله الذي اخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه أخبر امير المؤمنين اكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانيء بن عروة المرادي وأني جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتى استخرجتهما وأمكن الله منهما...»[5].

وهنا يجب أن نفرق بين المخبر والدسيس في كلام ابن زياد وهو في بعض مظاهره الفارق بين المخبر العادي، وبين شيخ العشيرة أو الوجه الاجتماعي البارز الذي يكلف بقضاء مهمة خاصة.

الطريق الثالث: استغلال وعاظ السلاطين وقداستهم المزيفة:

فقد كان ذلك أشد فتكا و هذا الدور هو الذي لعبه قاضي الكوفة (شريح ابن الحارث الكندي) الذي كان قاضيا للكوفة في تلك الفترة. قام شريح بدور مهم وهو تضليل الناس خاصة في موضوع اعتقال هانيء بن عروة شيخ مراد، وقيام عبيد الله بن زياد بضربه وجرحه وهو يخبر الناس في باب قصر الامارة أن هانيا بخير ويتشاور مع الامير في أمور الولاية مما سبب تقاعس وتفرق الناس عن ثورة مسلم[6].

الطريق الرابع: شراء ذمم بعض الوجهاء ورؤساء العشائر:

ويظهر في هذا الدور أن هؤلاء الوجهاء ورؤساء القبائل، كانوا قد أجهضوا ثورة مسلم بن عقيل وذلك بعد استلامهم مبالغ من المال واعطائهم وعوداً من ابن زياد في الحصول على بعض المناصب في الدولة فقاموا بتفرقة ابناء قبائلهم والناس الذين يؤثرون فيهم عن ثورة مسلم بن عقيل، علما أنهم كتبوا في وقت سابق إلى الإمام الحسين(عليه السلام) أن أقدم الينا: «فانما تقدم على جند لك مجندة»[7]، وإذا هم اليوم من الواقفين على باب قصر الامارة يثبطون الناس عن نصرة مسلم بن عقيل ومن أمثال هؤلاء شبث بن ربعي، والدليل على حصول هؤلاء الرؤساء على الاموال هو ما قاله فيما بعد أحد أنصار الإمام الحسين(عليه السلام) الذي وصل لنصرة الإمام حين سأله عن أخبار مجتمع الكوفة فقال له مجمع بن عبد الله العائذي[8]: «أما أشراف

---

(١) الحرورية: المقصود بهم الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي(عليه السلام) بعد التحكيم فلجأوا إلى قرية حروراء على بعد نصف فرسخ من الكوفة وبها سموا بالحرورية ورئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي وابن الكوا وشبث بن ربعي، ينظر: اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص١٣٣.

(٢) بعمان الزرارة: الزرارة قرية كبيرة في البحرين، وأنها هي التي كان زياد وابنه ينفيان من شاءا نفيه اليها من أهل البصرة والكوفة، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩١، المامقاني، عبد الله بن محسن، تنقيح المقال في علم الرجال، المطبعة المرتضوية، (النجف الاشرف، ١٣٥٢هـ)، ج٣، ص٢٢٠.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٤-٤٥.

(٤) الفصول المهمة، ص٢٧٩.

(٥) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨٥.

(٦) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٦.

(٧) ابن نما، مثير الاحزان، ص٤٥؛ المجلسي، بحار الانوار ج٤٥، ص٦.

(٨) مجمع بن عبد الله مجمع بن مالك بن أياس بن عبد مناة المذحجي العائذي: كان أبوه عبد الله صحابيا وكان ولده مجمع تابعيا من أصحاب الإمام علي(عليه السلام) وجاء مجمع وابنه لنصرة الحسين(عليه السلام) فمانعهم الحر بن يزيد وأخذهم الإمام الحسين(عليه السلام)، قتل مجمع وأخوه وعمر بن خالد وأصحابهما في اليوم العاشر من محرم عام ٦١هـ مع الإمام الحسين(عليه السلام)، السماوي، محمد طاهر، أبصار العين في أنصار الحسين، مؤسسة البلاغ، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ص١٥٩-١٦٠.

الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت[1] غرائرهم يستمال ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم إلب واحد عليك، وأما سائر الناس بعد فأن افئدتهم تهوى اليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك»[2].

كان هؤلاء الوجهاء رؤساء العشائر على نمطين، أما اسرى العقد النفسيه الموجوده في نفوسهم من جراء ما شاهدوه من عدل الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) من المساواة في العطاء والمناصب ومن أمثالهم اولاد الاشعث بن قيس[3] وشريح القاضي الذين حاول الإمام علي(عليه السلام) عزله، فلم تساعده الظروف على ذلك[4]. وكذلك عمر بن حريث الذي قال فيه الإمام علي(عليه السلام) وفي بعض من كانوا معه «ليحشرن قوم يوم القيامة وأمامهم ضب»[5]، وكان هؤلاء قد بايعوا الضب بدل بيعتهم الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) وذلك لكرههم له بسبب عدالته وإنصافه المظلومين.

أما النمط الثاني، فهم أسرى مراكز النفوذ وهم أصحاب المراكز الذين يخافون عليها وأولئك الطامحون لها وهم لا يرون سبيلا للوصول اليها إلا بأقتناص الفرص والتزلف لمن يحتملون الحظوة عنده والمثال البارز بين هؤلاء شبث بن ربعي وكثير بن شهاب، وعمر بن الحجاج.

وبهذه الاساليب الاربعة أستطاع ابن زياد أن يجعل مؤشر ميزان القوى يميل لصالحه وبشكل سريع، وقد ساعده العمل الامني بشكل فعال وكان دور شريح القاضي هو الفتيل والصاعق.

إن انتقال مسلم بن عقيل إلى دار هانيء بن عروة المرادي كان له الأثر البالغ في زيادة عدد المبايعين له، كما أن صاحب هذه الدار هو هانيء بن عروة صحابي مشهور ومن الشخصيات البارزة، كان هانيء إذا ركب، ركب معه اربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل وقبيلته إذا اجابتها أحلافها من كنده وغيرها، كان في ثلاثين ألف دارع[6].

(١) غرائر: هو جمع غراره وهي كيس كبير من الصوف أو الشعر وهي الجوالق، (ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٨).

(٢) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٣٠٦.

(٣) وهو أحد رؤساء القبائل الكبيرة في الكوفة، وقد تأمر على قتل الإمام علي(عليه السلام) هو وأولاده وعلى قتل الإمام الحسن(عليه السلام). الصدوق، الخصال، ص٦٤٥؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص١٤٢؛ الكوراني، في محراب كربلاء، ص٢٥٠.

(٤) الكوراني، في محراب، ص١٢٧.

(٥) الحر العاملي، محمد بن الحسن الحر العاملي، (ت ١١٠٤هـ)، أثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، مؤسسة الاعلمي، (بيروت، د. ت)، ج٢، ص٢٦.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٥٩.

ولذا أختار مسلم بن عقيل بعد أن شعر بالخطر من دخول عبيد الله الكوفة أن يغير مقره إلى هانيء، وكان ضيفا عزيزا لدى هانيء لا كما يصوره الطبري في نصه: «أتيتك لتجيرني وتضيفني فقال: رحمك الله لقد كلفتني شططا ولولا دخولك داري وثقتك بي لأحببت أن تنصرف عني، غير أن يأخذني من ذلك ذمام، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل، أدخل، فآواه»[7]، هناك عدة أدلة على عدم دقة هذا النص:

١-عند دخول عبيد الله بن زياد الكوفة، وانتقال مسلم بن عقيل إلى بيت هانيء ابن عروة، لم يكن في ذلك الوقت انهيار في موقف أهل الكوفة المؤيدين لمسلم بمستوى أن يضطر مسلم إلى البحث عن مأوى يلجأ إليه، فيتوجه مسلم إلى دار هانيء دون علم صاحبه.

٢-لما عرف عن مسلم من شخصية اجتماعية لها وزنها لايمكن أن يقبل أن يعامل معاملة اللاجيء المهيض الجناح غير المرحب به.

٣-هناك رواية تشير إلى أن نزول مسلم دار هانيء كان نزولا طبيعيا لا يشوبه أي حذر غير اعتيادي أو منع أو تضييق من قبل هانيء بن عروة بدليل نص الطبري: «وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانيء»[8].

٤-تروي لنا المصادر التاريخية عن جمع الرجال والسلاح في الدور المجاورة لدار هانيء وهذا ما جاء على لسان ابن زياد بقوله: «جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك»[9]. وهذا لا يمكن أن يتم دون موافقة ومباركة ورغبة هانيء في استضافة مسلم.

إن نشر هذه المعلومات ربما جاء من آل هانيء في قصة دخول مسلم بن عقيل عليه وهي تنسجم مع موقف هانيء أمام بن زياد الذي جاء بدافع التقية من شره. ثم أن الإمام الحسين(عليه السلام) كان قد أوصى مسلم بالنزول عند أوثق أهلها ولذا أختاره مسلم في هذه المرحلة.

لذا أرى أن انتقال مسلم بن عقيل إلى دار هانيء بن عروة كان طبيعيا جدا وقد تم بعلمه مسبقا واستعداده التام لكل ما يترتب على ذلك من موقف[10].

عند قدوم ابن زياد من البصرة إلى الكوفة دعا أكثر زعماء القبائل لنصرته والتقرب إليه وكان ممن دعي هانيء بن

(٧) التاريخ، ج٤، ص٢٧٠.

(٨) التاريخ، ج٤، ص٢٧٠.

(٩) ابو مخنف، المقتل، ص٣٦؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٣.

(١٠) الكوراني، احداث، ص١٣١.

عروة لكن هانيء رفض ذلك ولم يتقرب إلى عبيد الله بن زياد[1].

وفي نفس البيت أيضا نزل ضيف آخر عظيم المنزلة لدى هانيء وهو من كبار القادة المذحجيين وهو شريك بن الأعور[2]، وكان صاحب عبيد الله بن زياد وجاء معه من البصرة إلى الكوفة وربما اصطحبه ابن زياد معه إلى الكوفة وذلك لغرض الاستعانة به لدى المذحجيين في الكوفة لما له من مكانة رفيعة بينهم، علماً أن شريك لم يكن يهوى ابن زياد وكان هواه مع شيعة وأصحاب الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) إلا أنه يتظاهر بأنه إلى جانب ابن زياد[3].

عندما نزل شريك دار هانيء بن عروة مرض مرضاً شديداً وفي هذه الدار التقى بمسلم بن عقيل وتعرّف عليه، وعندما علم ابن زياد بمرض شريك أرسل إليه رسولاً يعلمه بأنه آت لزيارته، فاغتنم شريك هذه الفرصة فقال لمسلم: «إنما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنك الله منه وهو صائر إلي ليعودني فقم وادخل الخزانة حتى إذا اطمأن عندي فاخرج إليه فاقتله ثم صر إلى قصر الإمارة فأجلس فيه فإنه لا ينازعك فيه أحد من الناس وإن رزقني الله العافية صرت إلى البصرة فكفيتك أمرها، وأبايع لك أهلها»[4].

وكان هانيء قد كره أن يقتل ابن زياد في داره تمسكاً بالعادات العربية التي لا تبيح قتل الضيف والقاصد إليها في بيوتها[5]، فقال هانيء لشريك: «ما أحب أن يقتل في داري»[6]، فلم يعن شريك به والتفت إلى مسلم بن عقيل يحثه على اغتيال ابن زياد قائلا له: «لا تقصر في ذلك» وبينما هم كذلك إذ وصل عبيد الله بن زياد فقام مسلم وأختبأ في الخزانة، ودخل ابن زياد فجعل يسأل شريكاً عن مرضه وشريك يجيبه، ولما استبطأ شريك خروج مسلم أخذ يقول:

ما الانتظار بسلمى لا تحيوها

حيوا سليمى وحيوا من يحيّيها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها[7]

ورفع شريك صوته ليسمع مسلم بن عقيل قائلا: «لله أبوك أسقنيها ولو كانت بها نفسي»[8]. لقد ظن ابن زياد أن شريكا يهجر فقال لهانيء، أيهجر قال: نعم أصلح الله الأمير لم يزل هكذا من الصبح[9]، وهنا فطن مهران مولى ابن زياد فغمزه ونهض به سريعاً فقال له شريك أيها الأمير إني أريد أن أوصي إليك، فقال له ابن زياد أني أعود إليك، والتفت مهران إلى ابن زياد وهو مذعور فقال له: «أنه أراد قتلك» فبهر ابن زياد قال: كيف ومع إكرامي له في دار هانيء ولما خرج ابن زياد خرج مسلم من الحجرة فالتفت إليه شريك وقلبه يذوب أسى وحسرات فقال له: «ما منعك من قتله؟»[10].

فقال مسلم بن عقيل: «منعني منه خلتان الأولى قول رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن الإيمان قيّد الفتك فقال له شريك: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقا فاجراً ولاستقام لك أمرك واستوسق لك سلطانك»[11]، والثانية كراهية هانيء لقتله في منزله، ولم يلبث شريك بعد الحادثة إلا ثلاثة أيام حتى توفي، فصلى عليه ابن زياد ولما تبين له ما دبره له شريك طفق يقول: «والله لا أصلي على

(١) المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٣.

(٢) هو شريك بن الاعور الحارثي الهمداني وهو من أصحاب الإمام علي بن ابي طالب، وشهد معه الجمل وصفين وكان رداء لجارية بن قدامة السعدي في محاربة ابن الحضرمي بالبصرة ولمعقل بن قيس الرياحي في محاربة الخوارج بالكوفة وهو في ثلاثة آلاف مقاتل من أهل البصرة كان كريما على ابن زياد وكان شديد التشيع مرض في دار هانيء بن عروة فقال لمسلم: إن هذا الفاجر عائدي فأقتله ثم أقعد في القصر فليس أحد يحول بينك وبينه وإذا أنا برئت من وجعي سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها ولم يلبث شريك بعد الحادثة إلا ثلاثة أيام حتى توفي فصلى عليه ابن زياد ودفنه بالثوية ولما تبين ما دبره له شريك طفق يقول: والله لا أصلي على جنازة عراقي ولولا قبر زياد فيهم لنبشت شريكا، الثقفي، الغارات، ج٢، ص٧٩٣؛ ابو الفرج، الاغاني، ج٦، ص٥٦.

(٣) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٤؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٣، ص٢٤٢؛ ابن نما، مثير، ص٥١.

(٤) الدينوري، الاخبار، ص٢٣٤.

(٥) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٢؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٠؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٧٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٠؛ العاملي، اعيان الشيعة، ج٧، ص٣٤٤.

(٦) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٤؛ ابن نما، مثير الاحزان، ص٢١.

(٧) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٣، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ح٢، ص٩؛ الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٢٣٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧١؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٧٢، ابو الفرج، مقاتل، ص٦٥، ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٠؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٣؛ القرشي، حياة الحسين، ج٢، ص٢٦٣.

(٨) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج٢، ص٩؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٠؛ العاملي، أعيان الشيعة، ج٧، ص٣٤٤؛ القرشي، حياة الحسين، ج٢، ص٣٦٤.

(٩) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٣؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧١؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٧٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٠؛ القرشي، حياة الحسين، ح٢، ص٣٦٤.

(١٠) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٣؛ ابن قتيبة، الامامة، ج٢، ص٩؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧١؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٣٣؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٠؛ العاملي، أعيان الشيعة، ج٧، ص٣٤٤.

(١١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٣؛ ابن قتيبة، الامامة، ج٢، ص٩؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٥؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧١؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٧٤. ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨١؛العاملي، أعيان الشيعة، ج٧، ص٣٤٤.

جنازة عراقي ولولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكا»[1].

وأني أرى أن رأي شريك كان على صواب فيما لو قُتل ابن زياد يُقضى على السلطة الأموية، ولكن ربما رأى مسلم أن هذا الإجراء قد تكون له عواقب خطيرة لم تكن لصالح الثورة الحسينية وتؤدي إلى قتل جميع المناصرين للثورة.

وهناك رواية ثانية عن هذه القضية مفادها أن المريض كان هانيء بن عروة وليس شريكاً، وعندما عاده ابن زياد استقبح أن يقتل في بيته لذلك أمتنع مسلم عن قتل عبيد الله بن زياد في دار هانيء[2].

إن امتناع مسلم عن قتل عبيد الله في دار هانيء رغم تمكنه منه دليل على رسالية الثورة الحسينية، ولذلك نجد الإمام الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء يخاطب أهل الكوفة بقوله: «هل تطلبونني بقتيل منكم قتلته، أو بمال استهلكته، فسكتوا»[3].

فلو أن مسلماً قام بقتل ابن زياد في ذلك الموقف ما استطاع الإمام الحسين(عليه السلام) أن يلقي بحجته على أهل الكوفة بهذا الاسلوب البليغ الذي أسكتهم جميعا وكذلك امتنع مسلم من قتل عبيد الله بن زياد لأنه أبى الانتصار للاسلام بوسيلة غير اسلامية وهي الغدر، وان المسألة ستتحول بنظر المسلمين بهذه الحالة من قضية اسلامية بحته كان مسلم يسعى فيها لنصرة الإسلام إلى قضية شخصية قوامها التنافس على السلطان. وكان كل من سيعمد إلى أسلوب مماثل سيحمل مسلم مسؤولية ذلك كسنّة سنها وسيتحمل وزرها ووزر من عمل بها.

وعليه يمكن القول بأن عدم قتل ابن زياد من قبل مسلم بهذه الطريقة كان ناشئاً من حرص مسلم العميق وإيمانه الكبير بالمبادئ والقيم السامية التي جاء بها إسلامنا الحنيف وتربيته الراقية التي لا تقبل الغدر والغيلة، حتى بالد الخصوم، لا كما تصور البعض بأن هذا الامتناع كان ناشئا عن ضعف أو تردد وشخصية البطل مسلم معروفة بالحروب.

معرفة مقر مسلم بن عقيل الجديد:

أخذ ابن زياد في البحث عن المقر الجديد لمسلم بن عقيل، لقد وصلت إليه أخبار نزول مسلم بن عقيل في دور احد الموالين له، ولم يكن متيقنا أن هذا المنزل كان مركزا لتجمع الثوار ورافضي الدولة الاموية فضلا عن حصول بيعة لمسلم بن عقيل تقدر بثمانية عشر ألف رجل في هذا المنزل[4].

خفي هذا الامر في بداية الامر على أعوان الدولة وعيونها وهذا ما يدل على أن خطة مسلم محكمة ومحاطة بجو من السرية والكتمان التي أكد عليها الإمام الحسين(عليه السلام)[5]، وكان لابد من تحرك سريع من النوع الذي الفه الامويون، فلابد من اكتشاف مقر مسلم، وان ابن زياد لم يقدم الكوفة إلا لهذا الغرض، لذلك استعان بمولى له يدعى معقل كان له مهارة عالية في التجسس والحصول على المعلومات المطلوبة عن مكان تواجد مسلم بن عقيل.

قال ابن زياد لمعقل: «خذ ثلاثة آلاف درهم، ثم أطلب مسلم بن عقيل وأطلب لنا أصحابه، ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف، ثم قل لهم: أستعينوا بها على عدوكم، وأعلمهم أنك منهم، فانك لو قد أعطيتهم أياها أطمأنوا اليك ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئا من أخبارهم، ثم أغد عليهم ورح»[6].

جاء معقل إلى المسجد الاعظم فسأل الناس عن غايته، فسمع الناس يقولون «إن هذا يبايع للحسين، فأشاروا إلى مسلم بن عوسجة الاسدي، فجلس إلى جانبه وقال له: يا عبد الله أني امرؤ من أهل الشام أنعم الله علي بحب أهل البيت وحب من أحبهم، فهذه ثلاثة آلاف درهم، أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وكنت أريد لقاءَه فلم أجد أحدا يدلني عليه ولا يعرف مكانه إلا أنهم أشاروا اليك وأني أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلني على صاحبك فأبايعه، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه، فقال مسلم: أحمد الله على لقائك أياي، فقد سرني ذلك لتنال ما تحب ولينصر الله بك أهل بيت نبيه(صلى الله عليه وآله)، فأخذ البيعة قبل أن يبرح، وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصحن وليكتمن، فأعطاه من ذلك ما رضي به، ثم قال له أختلف الي أياما في منزلي، فأنا

(١) ابو مخنف، مقتل، ص٣٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧١؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨١.

(٢) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٠.

(٣) ابو مخنف، مقتل، ص١٨٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٣٢٣؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٥١٦؛ ابن نما، مثير، ص٣٧؛ الاربلي، كشف الغمة، ج٢، ص٢٦٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥، ص٧؛ القندوزي، ينابيع، ج٣، ص١٥؛ العاملي، لواعج الاشجان، ص١٢٨.

(٤) البلاذري، أنساب، ص٧٩؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٣؛ الثقفي، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد، (ت٢٨٣هـ)، كتاب الغارات، مطبعة بهمن، (قم، د. ت)، ج٢، ص٧٩٣.

(٥) المفيد، الارشاد، ج٢، ص٣٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٤، ص٣٣٥؛ البحراني، عبد الله الاصفهاني، (ت١١٣٠هـ)عوالم العلوم والمعارف والاحوال في الايات والاخبار، مدرسة المهدي، (قم، ١٤٠٧هـ)، ص١٩١.

(٦) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٠؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٥؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٤؛ الطبرسي، اعلام الورى، ج١، ص٤٣٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٢؛ البحراني، العوالم، ص١٩١؛ الطباطبائي، محمد مهدي بحر العلوم، الفوائد الرجالية، مطبعة افتاب، (طهران، ١٣٦٣هـ)، ج٤، ص٢٠.

طالب لك الاذن على صاحبك»[1]، فأخذ يختلف مع الناس، فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الاعور فأخبره خبره كله، فأخذ ابن عقيل بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي[2] فقبض ماله الذي جاء به، وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أول داخل إليهم وآخر خارج من عندهم، يسمع أخبارهم ويعلم اسرارهم ثم ينطلق بها حتى يقرها في إذن ابن زياد[3].

قام معقل بدور التجسس المهم الذي قلب الموازين لصالح والي الأمويين بالكوفة عبيد الله بن زياد، إذ أنه أعلم ابن زياد بالدور الفعال الذي قام به هانيء بن عروة في دعم الثورة، ومساندتها بكل الإمكانات المتاحة لديه، كما أن دار هانيء أصبحت المركز لتجمع أنصار الإمام الحسين(عليه السلام)، فكانت هذه الدار مع الدور المحيطة بها تضم آلاف الأنصار ممن بايع لمسلم بن عقيل، فضلاً عن أتباع هانيء والمكانة التي يحظى بها في المصر، مما دعا ذلك ابن زياد في أن يحجم عن القيام بأي عمل عسكري لا يكون مأمون العواقب، فهو كما توصل إلى معرفة مقر مسلم بن عقيل عن طريقة الخداع والحيلة، أيضا استدرج هانيء بالأسلوب نفسه، وقد اعتمد هذه المرة على عمرو بن الحجاج[4]، لأنه من قبيلة هانيء وأخو زوجته، وكذلك اعتمد على شخصية أخرى وهو محمد بن الأشعث[5]، زعيم قبيلة كندة واعتمد أيضا على حسان بن أسماء بن خارجة[6] زعيم فزارة[7].

فقال لهم: «ما يمنع هانيء بن عروة من أتياننا؟ قالوا: ما ندري أصلحك الله وأنه ليشتكي، قال: قد بلغني أنه قد برأ، وهو يجلس على باب داره، اذهبوا إليه وأخبروه أن لا يدع ما عليه في ذلك من حق، فإنني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب»[8].

ذهب وفد ابن زياد إلى هانيء عشياً فوجدوه جالساً على باب داره فسلموا عليه، وقالوا له: «ما يمنعك من لقاء الأمير فإنه قد ذكرك؟ وقال لو أعلم أنه شاك لعدته، فقال لهم: الشكوى تمنعني، فقالوا له: أنه قد بلغه انك تجلس كل عشية على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لمّا ركبت معنا وأخذوا يلحّون عليه في زيارته فاستجاب لهم على كره فدعا بثيابه فلبسها، ودعا ببغلة فركبها فلما كان قريباً من القصر أحست نفسه بالشر، فعزم على الانصراف وقال لحسان بن أسماء: يا ابن الأخ إني والله لخائف من هذا الرجل فما ترى؟ فقال حسان: يا عم والله ما أتخوف عليك شيئاً، ولا تجعل على نفسك سبيلاً، وأخذ القوم يلحون عليه حتى أدخلوه على ابن زياد، فاستقبله بعنف وشراسة وقال:

أتتك بخائن رجلاه تسعى

يقود النفس منها للهوان»[9]

قال ابن زياد لهانيء: «يا هانيء ما هذه الأمور التي تتربص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين جئت

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٠.

(٢) هو عمر بن عبد الله بن كعب الصيداوي الهمداني، أبو ثمامة الصائدي، كان تابعيا وكان من فرسان العرب ومن وجوه الشيعة ومن أصحاب الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) الذين شهدوا معه مشاهده وعندما دخل مسلم بن عقيل إلى الكوفة جعله أمينا لقبض اموال الناس ولما دخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة وثار عليه مسلم بن عقيل بعد اعتقال هانيء بن عروة، عقد لابي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان واستشهد مع الإمام الحسين(عليه السلام) في كربلاء. ينظر: ابو مخنف، المقتل، ص١٤٧؛ الشاهرودي، علي، مستدركات علم الرجال الحديث، دار الحديث (قم، د. ت).

(٣) ابو مخنف، مقتل، ص٣٤؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٦؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٢؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٧٥؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٢؛ القرشي، حياة الحسين، ج٢، ص٣٩٦.

(٤) عمرو بن الحجاج بن سلمة بن عبد يغوث الزبيدي، وكان له دور فعال في القضاء على مسلم بن عقيل وهانيء بن عروه، إلا أنه اعترض على عمر بن سعد قائد جيش ابن زياد عندما جاء العباس بن علي بن ابي طالب(عليه السلام) يستمهله ليلة العاشر فأعترض شمر بن ذي الجوشن على ذلك، فقال عمرو بن الحجاج: «سبحان الله والله لو كان من الترك أو الديلم وسألوك عن هذا ما كان لك أن تمنعهم» حينئذ أمهلهم عمر بن سعد. ينظر: ابن نما، مثير الاحزان، ص٣٧.

(٥) محمد بن الاشعث بن قيس، كان ابوه زعيم احدى القبائل الكبيرة في الكوفة، كان من الموالين للامويين، تزوج الإمام الحسن بن علي ابي ابي طالب أخته جعده، شارك في حرب كربلاء مع الجيش الاموي، (الكوراني، في محراب كربلاء، ص١٢٨).

(٦) حسان بن اسماء بن خارجه بن عينيه بن خضر بن حذيفة بن بدر الفزاري، كان احد اعضاء الوفد الذين استدرجوا هانيء بن عروة إلا إنه لم يكن يعلم بنية ابن زياد كصاحبه، وقد حضر الطف في جيش عمر بن سعد، وعندما حملت الرؤوس إلى ابن زياد وجدوا احد أولاد الإمام الحسن(عليه السلام) واسمه الحسن قد أثخن بالجراح، فقال حسان دعوه لي أخذه إلى ابن زياد يرى فيه رأيه فلما أخبر الناس ابن زياد بذلك قال دعوا لحسان ابن اخته فعالجه وبرأ ومضى إلى المدينة وقد مات حسان سنة ٦٥هـ ينظر: ابن عنبه، عمدة الطالب، ص١٠٠؛ ابن حجر، الاصابة، ج١، ص٣٣٩.

(٧) الحسيني، علي جمال، مسلم بن عقيل، قصة معقل، مكتبة الرباب الحسينية، (كربلاء ١٤٣١هـ)، ص٤٢-٤٣.

(٨) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٦؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٢؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٢؛ ابن نما، مثير الاحزان، ص٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٦٥؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٤؛ البحراني، العوالم، ص١٩٣.

(٩) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٦؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ص٣٠٣؛ العاملي، لواعج الاشجان، ص٤٨.

بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك وظننت أن ذلك يخفى علي»[1].

أنكر هانيء بن عروة هذا الأمر في بدايته وقال: ما فعلت ذلك وما مسلم عندي فقال ابن زياد: نعم قد فعلت، ودعا ابن زياد بمعقل الذي جعله عيناً عليهم فلما مثل عنده قال لهانيء: أتعرف هذا؟ وأشار بيده إلى معقل قال هانيء: «نعم، وعلم عند ذاك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فسقط في خلده ساعة»[2].

وقد أختلفت الروايات التاريخية في جواب هانيء لابن زياد فمنهم من قال أن هانيء قال لابن زياد: أسمع مني وصدق مقالتي، أنه طلب مسلم مني النزول في داري فأستحييت من رده فأدخلته داري وضيفته وإن شئت أعطيتك موثقاً مخلصاً وما تطمئن إليه ألا أبغيك بسوء، وأذهب إلى مسلم ليخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه، فقال ابن زياد لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به فرفض هانيء ذلك وهدده ابن زياد بالقتل[3].

وفي رواية ثانية أن هانيء عندما جاء ابن زياد بمعقل أعترف بوجود مسلم بن عقيل وقال هانيء لابن زياد: «قد كان الذي بلغك، ولن أضع يدك عندي»[4].

ورواية ثالثة أن هانيء قال لابن زياد: «إن لزياد أبيك عندي بلاءً حسناً وإني أحب مكافأتك به، فهل لك في خير؟ قال ابن زياد: ماهو؟ قال: اشخص إلى أهل الشام بأتباعك وأموالك سالمين، فقد جاء من هو أحق من صاحبك»[5].

عند ذاك ثار ابن زياد وقال لهانيء لا تفارقني حتى تأتيني به ورفض هانيء ذلك وتعالت الأصوات بينهما استأذن مسلم بن عمر الباهلي ابن زياد في أن يختلي بهانيء لإقناعه، وفعلاً تحادث مع هانيء في مكان مجاور يسمع ابن زياد حديثهما رفض شيخ مذحج الوقور ذلك واعتبره إهانة له في تسليم ضيفه العزيز مسلم بن عقيل لأن ذلك عار عليه مدى الدهر[6].

آيس مسلم بن عمر الباهلي من هانيء وعندها التفت لابن زياد وقال له: أيها الأمير قد أبى أن يسلم مسلم أو يقتل[7]. فأخذ ابن زياد يهدد هانيء بضرب عنقه فقال هانيء «إذاً تكثر البارقة حولك». فقال ابن زياد: «والهفا عليك أبالبارقة تخوفني»؟[8].

فضرب وجه هانيء بالقضيب الذي كان بيده حتى كسر أنفه وأدماه وعمد هانيء إلى سيف شرطي كان إلى جانبه محاولا اختطافه لضرب ابن زياد فمنعه الشرطي منه فعند ذاك صاح ابن زياد «أحروري أحللت نفسك وحل لنا قتلك»[9]. وعندها حبسه ابن زياد في أحد بيوت القصر.

واعترض ابن خارجه ابن زياد عما فعله بهانيء لكن محمد بن الأشعث قال: «قد رضينا بما رأى الأمير لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدب»[10].

عندما وصل خبر اعتقال هانيء إلى عشيرته وأسرته جمعوا أمرهم وحاصروا قصر الإمارة يقودهم عمرو بن الحجاج وعند وصوله القصر رفع صوته ونادى هذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع الطاعة ولم نفارق جماعة، فلما سمع ابن زياد أمر شريح القاضي أن يشاهد هانيء وان يعلم عشيرته أنه بخير وفعلاً شاهد شريح هانئاً وهو بتلك الحالة من الدماء ولم يتكلم مع عشيرته بأي كلام وخرج إلى عشيرته مذحج وقال لهم: «قد نظرت إلى صاحبكم وأنه حي لم يقتل»[11]، بادر عمرو بن الحجاج فقال: إذا لم يقتل فالحمد لله،

(١) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٧؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٣؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٥.

(٢) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٦؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٣؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٨.

(٣) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٧؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٣؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٩، ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٢؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٦.

(٤) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٠؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٩؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٣؛ المجلسي، فلهوازن، الخوارج والشيعة، دار الجليل للكتب والنشر، (القاهرة، ١٩٨٨م)، ترجمة عبد الرحمن البدوي، ص١٠٧.

(٥) ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٤٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص١٧٠؛ الذهبي، سير اعلام، ج٣، ص٢٩٩؛ ابن الدمشقي، جواهر المطالب، ج٢، ص٢٦٧.

(٦) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٨؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٨٢؛ ابو الفرج، المقاتل، ص٧٠.

(٧) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٣٨؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٨٢؛ ابو الفرج، المقاتل، ص٧٠؛ ابن نما، مثير الاحزان، ص٢٢؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٣٢؛ العاملي، اعيان الشيعة، ج١، ص٥٩١؛ القرشي، حياة الحسين، ج٢، ص٣٧٥، ابن طاوس، اللهوف، ص٣٢.

(٨) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٨؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٤؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٩؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٢؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٦؛ الميانجي، مواقف الشيعة، ج١، ص٣٨٤.

(٩) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٨؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٤؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٤٩.

(١٠) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٣٩؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٤؛ ابن اعثم، الفتوح، ص٨٢؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٥١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٨.

(١١) ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص٣٠؛ البحراني، العوالم، ص١٩٦؛ العاملي، لواعج الاشجان، ص٢٢.

وهكذا انتهت هذه الحملة بالفشل التام وذلك بسبب تخاذل عمرو بن الحجاج في الإصرار على إطلاق سراح هانيء، وكذلك على الدور الذي لعبه شريح في تزوير الحقائق وعدم تبيان ما شاهده على وجه هانيء من ضرب ودماء مما دعى عشيرته إلى الإنصراف وعدم استنقاذ زعيمها[1].

أما الحملة الثانية على القصر فهي حملة مسلم بن عقيل التي كانت بعد الحملة الأولى وبعدما شاهده من تخاذل عشيرة هانيء في إنقاذه، بادر مسلم وأوعز إلى عبد الله بن حازم[2]، أن ينادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور من حوله فنادى بالشعار «يا منصور أمت»[3]، فأجتمع إليه أربعة آلاف رجل[4]، نظم مسلم صفوف جيشه، وأسند القيادات العامة في الجيش إلى من عرفوا بالولاء والاخلاص لأهل البيت(عليهم السلام) فجعل عبد الله بن عزيز الكندي[5]، على الخيالة من ربع كندة وربيعة وقال له: سر أمامي، ومسلم بن عوسجة الأسدي على ربع من مذحج وأسد وقال له: انزل في الرجال فأنت عليهم، وأبا ثمامة الصائدي على تيم وهمدان والعباس بن جعدة الجدلي[6] على قيادة ربع المدينة[7].

(١) العاملي، لواعج الاشجان، ص٢٢؛ الميانجي، مواقف الشيعة، ج١، ص٣٨٥؛ الجميلي، علي ابراهيم عبيد، مسلم بن عقيل(عليه السلام) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية/الجامعة المستنصرية، (بغداد ٢٠١٠م)، غير مطبوعة، ص١٩٧.

(٢) عبد الله بن حازم البكري هو رسول مسلم بن عقيل إلى قصر الامارة كي يستقصي الاخبار بعد اعتقال هانيء بن عروة من قبل عبيد الله بن زياد فعندما علم بتخاذل مذحج أخبر مسلم بن عقيل بذلك وعندها امره مسلم بالخروج والمناداة بالشعار المتفق عليه (يا منصور امت)، ينظر: المفيد، الارشاد، ج٢، ط٢، البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٣٤.

(٣) هذا شعار مسلم وهو الشعار الذي استخدمه النبي محمد (صلى الله عليه وآله)في غزوة بدر وغزوات اخرى واستخدمه الامام علي(عليه السلام) في كثير من الغزوات، الراوندي، فضل الله، (ت، ٥٧٣هـ)، النوادر، تحقيق سعيد رضى، دار الحديث، (قم، د. ت)، ص١٧٢.

(٤) ابو مخنف، المقتل، ص٤٢؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٦.

(٥) عبد الله بن عزيز الكندي، كان من شيعة الإمام علي(عليه السلام) في الكوفة، ناصر مسلم بن عقيل، وخرج للطلب بثأر الإمام الحسين(عليه السلام)، قتل مع التوابين في عين الوردة سنة ٦٥هـ ينظر: الشاهرودي، مستدركات علم الرجال، ج٥، ص٥٥.

(٦) هو العباس بن جعده الجدلي، كان من شيعة أهل البيت(عليهم السلام)، بايع مسلم بن عقيل وكان يأخذ البيعة للامام الحسين(عليه السلام) ولما تخاذل الناس عن مسلم امر بن زياد بالقبض عليه وحبسه، وبعد شهادة مسلم امر ابن زياد بقتله، ينظر: البراقي، تاريخ الكوفة، ص٣٣٢؛ الشاهرودي، مستدركات علم الرجال، ج٤، ص٣٤٢.

(٧) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٥؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٨٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٥١.

توجه مسلم بن عقيل مع أنصاره لمحاصرة قصر الإمارة وكان ابن زياد عند ذاك في مسجد الكوفة يخطب مطالباً الناس الطاعة وكان محاطاً بالشرطة والأشراف قائلاً: «أما بعد يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله ورسوله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتندموا وتذلّوا وتقهروا فلا يجعلن أحد على نفسه سبيلاً وقد أعذر من أنذر»[8].

وبينما هو يخطب ويتوعد الناس جاءته الأخبار بقدوم مسلم بن عقيل، فأسرع بالنزول ودخول قصر الإمارة من الباب المشترك مع المسجد وأوصد الأبواب عليه وعلى شرطته وكانوا لا يزيدون على خمسين نفرا[9]، أحاط الثوار بقصر الإمارة وأمتلأ المسجد والسوق المجاور وكان الثوار يكبرون الله وأمرهم شديد أكثر من الحملة الاولى[10].

جرى قتال محدود بين أتباع ابن زياد وأنصار مسلم بن عقيل وقد أسند مسلم رأس قوته إلى عبد الرحمن الشبامي[11] الذي وضع نفوذاً وسيطرة لمؤيدي مسلم على المنطقة مما عكس مدى حماس الثوار، وهنا بدأ يفكر ابن زياد بالحرب النفسية لمواجهة هذه القوة وفعلاً بدأ جماعة ابن زياد بنشر الخوف والذعر بين الناس والتهديد بأن جيشاً من أهل الشام قادم بالطريق إلى الكوفة فلا تعرضوا أنفسكم للقتل وتحرموا أولادكم من العطاء[12]، كان هذا الأسلوب مؤثراً بحيث كانت المرأة تأتي إلى ابنها أو زوجها، أو أخاها فتتوسل إليه بأن يترك المقاومة ويرجع إلى البيت، بدأ الكوفيون خلع ما كانوا يرتدونه من ثياب التمرد على بني أميه ولبسوا ثياب الذل والخوف والعبودية، ونجحت خطة ابن زياد في السيطرة على الأحداث من خلال هذه الحرب النفسية[13].

بعد هذه الحملة الدعائية والنفسية في داخل مجتمع أهل الكوفة مُني جيش مسلم بن عقيل بهزيمة كبيرة، فقد كان أثر الدعاية كبيراً على الجيش دون أن تكون قوة عسكرية في قبالة جيش مسلم.

(٨) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٥؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٨٥؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٥١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٨؛ البحراني، العوالم، ص١٩٧.

(٩) ابو مخنف، المقتل، ص٤٣؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٥؛ ابو الفرج، المقاتل، ص٧٠؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٥١.

(١٠) ابو مخنف، المقتل، ص٤٣؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٥؛ ابو الفرج، المقاتل، ص٧٠.

(١١) عبد الرحمن الشبامي: لم نعثر على ترجمة له في المصادر التاريخية.

(١٢) ابو مخنف، المقتل، ص٤٥؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٥٣؛ العاملي، لواعج الاشجان، ص٥٤.

(١٣) نفس المصادر في الفقرة (٣).

ذكر بعض المؤرخين: إن مسلما كلما انتهى إلى زقاق انسل جماعة من أصحابه وفروا منهزمين وهم يقولون: «مالنا والدخول بين السلاطين»[١]، ولذا أصبح ذلك الجمع الكبير الحاشد صغيرا بعد تفرق الناس عنه، لم يبق من الموالين لمسلم سوى ثلاثين شخصا، صلى مسلم بهم صلاة المغرب في المسجد[٢]. وبعدها خرج متوجها إلى أبواب كندة، وبلغ الباب فإذا معه عشرة نفر، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت مسلم فإذا هو لم يجد معه شخصاً يدله على الطريق ولا يواسيه بنفسه أن عرض له عدو[٣]، لقد أصيب مسلم بالدهشة والحيرة نتيجة هذا الموقف، لكنه بقي قوياً رابط الجأش، متماسك الشخصية، قوي الإرادة، في الوقت ذاته كان عدوه عبيد الله بن زياد يعلوه الخوف، لحد أن أصحابه لا يمتلكون الجرأة في النزول إلى الشارع فكانوا من أعالي سطح قصر الإمارة يراقبون حركة المكان والناس فكانوا ينزلون القناديل ومشاعل القصب إلى ظلال القصر فلم يروا أحدا، وعند ذلك أعلموا ابن زياد ففتح باب السدة التي تطل على المسجد الأعظم[٤].

وهنا يجدر بالباحث أن يقف موقف المتأمل لهذا التبدل في المواقف عند مجتمع أهل الكوفة ثم يأتي التساؤل المشروع وهو أين ذهب أنصار مسلم بن عقيل أو أين الخلص من هؤلاء الأنصار على الأقل؟

لا يمكن الإجابة بسهولة عن هذا السؤال لأن أي باحث في القضايا التاريخية ومهما أوتي من علم ومعرفة ومن عمق اطلاع في أحداث الكوفة في تلك الفترة الزمنية فإنه يقف متحيراً عن تفسير ذلك الانقلاب المروع، الذي لا نجد له تفسيرا مقنعاً في قراءتنا النصوص التاريخية الموثقة، وهذا يجعلنا نعتقد أن هناك حلقات مفقودة في قضية تبدل الموقف السياسي والاجتماعي وتفرق الناس عن سفير الإمام الحسين(عليه السلام)، وان هناك تشويها وقد يكون متعمداً لحقائق ذك المشهد التاريخي في الكوفة في ذلك الوقت، وبعد تلك الفترة أخذ بعض المؤرخين والباحثين يسجلون المواقف. وإلا فكيف تفسر تغيب تلك النخبة الطيبة عن مسلم بن عقيل ومن أمثالهم مسلم بن عوسجة وابو ثمامة الصائدي والحنفي وعابس الشاكري وحبيب بن مظاهر وغيرهم الكثير بحيث صار مسلم وحيداً لايجد من يدله على الطريق[٥].

لا يمكن أن نشك في أخلاص هذه المجموعة الطيبة لأننا نؤمن بعمق إيمانهم في قضيتهم والدليل على ذلك، هو تضحيتهم بأنفسهم أمام الإمام الحسين(عليه السلام) يوم عاشوراء، فلو كان تخاذلهم ناتجاً عن خوف أو ضعف في إيمانهم أو تراجع في مواقفهم لرافقهم ذلك إلى يوم عاشوراء، ولكن في نفس الوقت لا يمكننا الاجابة بشكل مطلق عن تساؤل يطرح نفسه وهو: أين ذهب هؤلاء في محنة مسلم وغربته؟ وتكون إجابتنا كلها تدور في دائرة الاحتمالات والتخمين والتوقع، فربما نعتقد أو نفترض أن مسلماً هو الذي أصدر لهم أمرا بالانصراف حرصا عليهم من القتل كما حدث لهانيء بن عروة أو أراد مسلم أن يستعدوا لاستقبال الإمام الحسين(عليه السلام) وهو في ذلك الوقت كان قد خرج عن مكة وان يهيؤوا الناس لنصرته من جديد[٦].

وهناك افتراض هو أن مسلم بن عقيل هو الذي امرهم باتخاذ أماكن سرية خوف إلقاء القبض عليهم من قبل سلطة ابن زياد وأراد أن يأخذ مكانا سريا حتى يمكنه أن يتابع الأمور ويجمع الناس مرة ثانية للهجوم على قصر الإمارة لكن الأمور ذهبت إلى مهاجمته وأسره ومن ثم قتله دون أن يحقق هدفه[٧].

أعتقد أن هنالك العديد من الحلقات مفقودة لم تصل الينا في قضية مسلم بن عقيل، أما سبب الفقدان فقد يكون الهدف من وراء ذلك هو التضليل والتشويه والتزوير في عصر ساد فيه هذا الوضع[٨].

وينفرد الميرزا الكاشاني (ت ١٢٩٧هـ)، برواية جاء فيها أن حملة ثالثة على قصر الإمارة شنها مسلم بن عقيل واشترك معه سليمان بن صرد الخزاعي والمختار الثقفي وغيرهم ولكنها لم تنجح وهذه الرواية ضعيفة ولم اجد فيها سنداً[٩].

---

(١) ابو مخنف، المقتل، ص٤٥؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٧؛ ابو الفرج، المقاتل، ص٧١؛ البحراني، العوالم، ص١٩٩.

(٢) ابو مخنف، المقتل، ص٤٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٧؛ ابو الفرج، المقاتل، ٧١؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٢٤؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٥؛ الطبرسي، اعلام الورى، ج١، ص٤٤٢.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٢٤؛ الطبرسي، اعلام الورى، ج١، ص٤٤٢.

(٤) ابو مخنف، المقتل، ص٤٦؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٨؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٥٥؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣ ص٤٨٤.

(٥) ابو مخنف، المقتل، ص٤٥؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٥٤؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٥؛ الطبرسي، اعلام الورى، ج١، ص٤٤٢؛ الاشيقر، محمد علي، مسلم بن عقيل بريق النبوه في ظلمات الكوفة، مطبعة كربلاء، (كربلاء، ٢٠٠٩م)، ص١١٤.

(٦) المظفر، سفير الحسين، ص٩٠؛ الجميلي، مسلم بن عقيل، ص٢٠٤.

(٧) عابدين، مبعوث الحسين، ص١٩١.

(٨) المظفر، سفير الحسين، ص٩٠؛ الكوراني، في محراب كربلاء، ص٣٣٠؛ الجميلي، مسلم، ص٢٠٤.

(٩) لسان الملك، ميرزا محمد تقي سبهر الكاشاني، (ت ١٢٩٧هـ)، ناسخ التواريخ، ترجمة سيد علي جمال أشرف، ط١، مطبعة قلم منشورات مدين، (قم، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م)، ج٢، ص٢٨٤-٢٨٧.

اعتقال مسلم بن عقيل واستشهاده:

بعد أن ترك أهل الكوفة مسلم بن عقيل وحيدا، انطلق يمشي في أزقة الكوفة وشوارعها، سار مسلم وهو حائر الفكر خائر القوى حتى انتهى إلى سيدة يقال لها طوعة[1]، وكانت واقفة على الباب تنتظر ابنها خوفا عليه من الأحداث الرهيبة التي عصفت بالكوفة، ولما رأها مسلم بادر إليها فسلّم عليها فردت السلام عليه وطلب منها أن تسقيه الماء فلما سقته ظل في مكانه، فارتابت منه المرأة ثم قالت له: «يا عبد الله اذهب إلى أهلك»[2].

فأعادت عليه القول ثلاثاً، فلما رأى مسلم إصرارها على صرفه من أمام دارها قال لها: «يا أمة الله ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك في أجر ومعروف ولعلس أكافئك بعد اليوم»[3].

وعندما أرادت طوعة أن تعرف هويته أجابها وفي عينيه حسرة وألم: «أنا مسلم بن عقيل بن ابي طالب كذبني هؤلاء القوم وغروني وأخرجوني»[4].

رحبت طوعة بمسلم بن عقيل وأجارته وأدخلته في دارها الواسعة، ولم يلبث مسلم هناك إلا ليلة واحدة انكب فيها على الصلاة وقراءة القرآن[5].

وكان ابن زياد قد خصص مكافأة مالية إلى كل شخص يدلي بمعلومات عن مكان تواجد مسلم بن عقيل، فلما علم ابن طوعة بلال أن امه أجارت مسلم بن عقيل في دارهم ذهب في اليوم التالي إلى ابن زياد ووشى به إلى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث[6] الذي أخبر والده[7].

فلما وصلت أخبار مسلم بن عقيل إلى ابن زياد، أنفذ عمر بن حريث المخزومي ومحمد بن الاشعث بن قيس الكندي في سبعين رجلاً حتى أحاطوا بدار طوعة، سمع مسلم أصوات الخيل قادمة إليه فأخذ سيفه وخرج من الدار وقاتلهم قتال الأبطال الشجعان وقتل منهم الكثير وكان يرتجز ويقول:

هو الموت فاصنع ويك ما انت صانع
فانت بكاس الموت لا شك جارع
فصبرا لأمر الله جل جلاله
فحكم قضاء الله في الخلق ذايع[8]

وذكر ابن شهر آشوب أن مسلم بن عقيل أجهز على واحد وأربعين رجلا منهم[9] ويضيف المؤرخون أن أهل الكوفة رموا الأحجار والنار عليه من أسطح المنازل وهو يقول لهم: «مالكم ترمونني بالحجارة مثل الكفار وأنا من بيت الأنبياء الأبرار»[10].

ونقل المؤرخون خبراً عن محمد بن الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام): أنه لما قتل مسلم بن عقيل جماعة منهم بلغ ذلك ابن زياد بعث إلى محمد بن الاشعث يوبخه على ما فعله رجل واحد بأصحابه فرد عليه ابن الاشعث قائلا: «أتظن أنك بعثتني إلى بقال من بقالي الكوفة أو إلى جرمقاني[11] من جرامقة الحيرة، أولم تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كف بطل همام من آل خير الآنام»[12].

بعد أن أوقع مسلم خسائر كبيرة في جيش ابن زياد أرسل ابن زياد مدداً إلى ابن الأشعث الذي حاول إعطاء الأمان لمسلم بن عقيل لقاء تسليم نفسه فلم يعر مسلم أهمية لعرضه واستمر شاهراً سيفه في وجوههم وهو يرتجز:

أقسمت لا أقتل إلا حرا
وإن رأيت الموت شيئا نكرا
أكره أن أخدع أو أغرّا
أو أخلط البارد سخنا مرّا
كل امرئ يوما يلاقي شرا
أضربكم ولا أخاف ضرا[13].

عندما رأى ابن الاشعث إصرار مسلم على القتال وبراعته وشجاعته الفائقة وجده على القتال وهو القائد الذي خاض الحروب صاح ابن الاشعث برجاله قائلا: «إن هذا هو العار والفشل أن تجزعوا

(١) طوعة: كانت زوجة أسيد الحضرمي، ولدت له بلال الذي كانت واقفة تنتظره، ثم هو أخبر ابن الاشعث بمكان مسلم وكانت قبلها زوجة للاشعث بن قيس، ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٥؛ الدخيل، علي محمد، اعلام النساء، ط١/، دار الهادي، (بيروت، ٢٠٠١م)، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٢) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٥.

(٣) ابو مخنف، المقتل، ص٤٤، الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٧؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٥.

(٤) ابو مخنف، المقتل، ص٤٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٧؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٩٠؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٥.

(٥) ابو مخنف، المقتل، ص٤٤؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٧٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٥.

(٦) هو ابن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي ابو القاسم من أصحاب عبيد الله بن زياد ثم مصعب بن الزبير، قتل عام ٦٧هـ (ابن حجر، الاصابة، ج٦، ص٢٥٨-٢٠٩).

(٧) القرشي، حياة الإمام الحسين(عليه السلام)، ج٢، ص٢٩٢.

(٨) ابو مخنف، المقتل، ص٤٤؛ ابن عساكر، مقتل الإمام الحسين، ص٣٢٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤، ص٣٤٥.

(٩) المناقب، ج٣، ص٢٤٥.

(١٠) ابو مخنف، المقتل، ص٤٩؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٩٤؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٣، ص٢٤٤.

(١١) الجرامقة: هم قوم ارتحلوا إلى الموصل في اوائل الإسلام أصلهم من العجم. (ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٥).

(١٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص٩٣؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٤٥.

(١٣) ابو مخنف، المقتل، ص٤٩؛ ابو الفرج الاصفهاني، المقاتل، ص٦٩؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٨٨؛ ابن نما، مثير الاحزان، ص٢٤.

من رجل واحد هذا الجزع أحملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة»[1]. فحملوا عليه فوقع فضربوه وأنتزعوا منه سيفه[2]، ويذكر الطبري وابن اعثم والشيخ المفيد أن مسلما لما سقط أسيرا فاضت عيناه بالدموع فظن القوم أنه يبكي على ما ألم به، إذ قال له عبيد الله بن العباس السلمي[3]: «إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك! فرد عليه مسلم قائلاً: إني والله ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي للحسين ولآل الحسين»[4].

كانت الساعات التي مرت على مسلم بن عقيل عندما أُسر ساعات صعبة، ورغم أنه مثخن بالجراح وبين أيدي رجال ابن زياد كان يسبح الله ويحمده، ويصف المؤرخ الطبري هذه الساعات بقوله: «وأقبل محمد بن الاشعث بابن عقيل إلى باب القصر فأستأذن فأذن له، فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بكير اياه فقال بعدا له فأخبره محمد بن الاشعث بما كان منه وما كان من أمانه أياه فقال عبيد الله ما أنت والأمان كانا أرسلناك تؤمنه إنما ارسلناك تأتينا به فسكت، وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الأذن منهم... فإذا قلة باردة موضوعة على الباب فقال ابن عقيل اسقوني من هذا الماء فقال له مسلم بن عمرو أتراها ما أبردها لا والله لا تذوق منها قطرة أبدا حتى تذوق الحميم في نار جهنم قال له ابن عقيل ويحك من أنت قال أنا.. قال مسلم: لأمك الثكل ما أجفاك وما أفظك وأقسى قلبك أنت ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني ثم جلس متسانداً إلى حائط»[5].

إن هذا النص يبين بوضوح أن هؤلاء القوم لا يعرفون الإنسانية والدين والأخلاق فالماء مباح لكل كائن حي من حيوان ونبات وإنسان، ثم إنه كان رجل قريب من ابن باهلة استحى من هذا الفعل ومن جفوة الباهلي فأخذ قدحاً من الماء وناوله إلى مسلم حاول مسلم شربه لم يستطع وكان يملأ دما من فمه وكرر ذلك ثلاث مرات ثم أرجعه إليه قال: «لو كان من الرزق المقسوم لشربته»[6].

بعد أن أدخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد في مجلسه في قصر الإمارة بالكوفة جرت بين مسلم وابن زياد مناظرة[7] طويلة نقل لنا بعض المؤرخين نصاً لها تظهر هذه

(١) ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٩٤-٩٥.

(٢) ذكر ابو مخنف خبرا عن وقوع مسلم بن عقيل في الاسر، حيث يذكر انهم عملوا له حفيرة وستروها بالتراب ثم انكشفوا بين يديه فحمل عليهم مسلم فانكشفوا بين يديه فلما انتهى اليها سقط فيها فأزدحموا عليه وأسروه. أما ابن اعثم فانه يذهب إلى أن مسلم بن عقيل وقف ليستريح مما ألم به من الجروح فطعنه من خلفه رجل من أهل الكوفة طعنة غادرة فسقط إلى الارض فأسرعوا إلى أسره، ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٥٠؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨٠؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٩٦.

(٣) هو عبيد الله بن العباس السلمي الكوفي، أحد القاده في معسكر بن زياد لم أعثر على تفاصيل حياته.

(٤) التاريخ، ج٤، ص٢٨٠؛ الفتوح، ج٥، ص٩٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٥٩؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٦.

(٥) التاريخ، ج٤، ص٢٨١؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٩٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٦٠؛ المجلسي، ج٤٤، ص٣٥٣.

(٦) ابو مخنف، المقتل، ص٥٢؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨٢؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٦١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٥٦.

(٧) عندما أسر مسلم بن عقيل ادخل على عبيد الله بن زياد فدخل المجلس ولم يسلم عليه فقال له الحرس: سلم على الامير.

- فقال له مسلم: اسكت يا ويحك والله ما هو لي بأمير.
- فقال ابن زياد: لا عليك سلمت أم لم تسلم فأنك مقتول.
- فقال له مسلم: أقتلتني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني وبعد فأنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك.
- فقال له ابن زياد: يا عاق يا شاق خرجت على امامك وشققت عصا المسلمين والحقت الفتنة بينهم.
- فقال له مسلم: كذبت يا بن زياد انما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد وأما الفتنة فأنما القحها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهاده على يدي أشر البرية فوالله ما خالفت ولا كفرت ولا بدلت وأنما أنا في طاعة امير المؤمنين الحسين بن علي(عليه السلام) ونحن اولى بالخلافة من معاوية وأبنه ومن آل يزيد.

-فأخذ ابن زياد يتهم مسلما بما هو برئ منه قائلا: يا فاسق الم تكن تشرب الخمر في المدينة.

-فصاح به مسلم: أحق والله بشرب الخمر من يقتل النفس المحرمة وهو يلهو ويلعب كأنه لم يسمع شيئا.

فراح ابن زياد يقول له: منتك نفسك أمرا حال الله بينك وبينه وجعله لأهله.

- فقال مسلم: من أهله؟
- فقال ابن زياد: يزيد بن معاوية.
- فقال مسلم: الحمد لله كفى بالله حاكما بيننا وبينكم. -فقال ابن زياد: أتظن أن لك من الامر شيئا. فقال مسلم: لا والله ما هو الظن ولكنه اليقين. فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتله لم يقتل أحد في الإسلام.
- فقال مسلم: أنك لا تدع سوء القتله وقبح المثله وخبث السريره والله لو كان معي عشرة ممن أثق بهم وقدرت على شرب ماء لطال عليك أن تراني في هذا القصر. فصاح ابن زياد بمسلم بماذا أتيت إلى هذا البلد؟ شتت امرهم وفرقت كلمتهم ورميت بعضهم على بعض.
- فقال مسلم: لست لذلك أتيت هذا البلد ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتأمرتم على الناس من غير رضا وحملتموهم على غير ما أمركم الله به وعملتم فيهم بأعمال كسرى =وقيصر وأتيناهم لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة وكنا أهلا لذلك فأنه لم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ولا تزال الخلافة لنا فأنا قهرنا عليها انكم اول من خرج على امام هدى وشق عصا المسلمين واخذ هذا الامر ونازع اهله بالظلم والعدوان. فأخذ ابن زياد يسب عليا والحسن والحسين.
- فثار مسلم في وجهه فقال له: انت وابوك أحق بالشتم منهم فأقض ما انت قاض فنحن أهل البيت موكل بنا البلاء. ينظر: ابو مخنف، المقتل، ص٥٤-٥٥؛ الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨٢-٢٨٤؛ ابو الفرج، المقاتل، ص٦٦-٦٧؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٦١-٦٣؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٩٧-١٠٢.

المناظرة قوة وشخصية وشجاعة البطل الهاشمي مسلم بن عقيل وتكشف عن مدى إيمانه وعقيدته، والامتثال لأوامر إمامه الحسين(عليه السلام) على الرغم من أنه أدرك أن مصيره القتل والموت المحتم، طلب مسلم من عبيد الله أن يوصي إلى أحد في المجلس يعرفه فقال مسلم لابن زياد: «إن كنت قد عزمت على قتلي فأقم لي رجلاً من قريش أوصي له بما أريد»[1]. نظر ابن عقيل في مجلس ابن زياد فرأى عمر بن سعد[2] بن ابي وقاص جالسا في المجلس فقال له: «لا أرى قرشياً غيرك ولي إليك حاجة»[3]. «في بداية الأمر رفض عمر بن سعد أن يقبل الوصية». لكن عبيد الله بن زياد أجبره على ذلك فقال: مسلم بن عقيل يا عمر: «إن بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة وقد يجب لي عليك نجح حاجتي وهو سر يا عمر، إن عليَّ بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم[4] فخذ سيفي ودرعي فبعهما واقضها عني وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد فوارها، وأبعث إلى الحسين من يرده فإني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً»[5].

أما ابن اعثم الكوفي فيقول أن عمر بن سعد وثب من المجلس وقال لمسلم: «أوصِ إلي بما تريد يا ابن عقيل!»[6]، ثم أوصاه بوصيته.

وفي وصية مسلم لابد لنا من الاستدراك على هذه الوصية لوجود إشارات تدفعنا للتشكيك فيها، حيث لم يتعرض لذكرها عدد من المؤرخين من أمثال المسعودي وابن شهرآشوب وابن طاووس[7]، هذا من جانب ومن جانب آخر أنه من المؤكد أن مسلم لم تخف عليه نفسية عمر بن سعد وقربه من الخيانة، وعدم حفظ الأمانة، ولكنه أراد أن يعرف الكوفيون مبلغه من المروءة كي لا يغتر به أحد، ولعل الذي يدفعنا للافتراض بصحة هذه الرواية هو استفاضة ذكر الوصية في بعض المصادر[8].

عندما أوصى مسلم بوصيته لابن سعد، انطلق عمر بن سعد وأخبر ابن زياد بها فقال ابن زياد: «لا يخونك الامين ولكن قد يؤتمن الخائن، أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكف عنه وأما جثته فإنا لن نشفعك فيها»[9].

لم يلتزم ابن زياد بشفاعة ابن سعد لمسلم في جثته، فقد عزم على التمثيل بها للتشفي منه ليتخذ كذلك منها وسيلة لتخويف خصوم الأمويين وترهيبهم[10].

اختار عبيد الله بن زياد بكر بن حمران وهو الذي جرى بينه وبين مسلم قتال شديد، أن يصعد بهذا البطل الهاشمي إلى أعلى سطح قصر الامارة بالكوفة ويقتله: «خذ مسلما واصعد به إلى أعلى القصر وأضرب عنقه»[11].

وهنا شعر مسلم بغدر وخيانة محمد بن الأشعث الذي سبق وأن أعطى المواثيق والأمان لمسلم فقال مسلم: «يا ابن الأشعث والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت قم بسيفك دوني فقد اخفرت ذمتك»[12]، وأستعد مسلم إلى الموت الذي لابد منه وأستقبل الموت بثغر باسم وإيمان راسخ بالله ورسوله وآل بيته، فصعد به إلى أعلى القصر وهو يسبح الله ويستغفره بكل طمأنينة ورضا وهو يقول: «اللهم أحكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا»[13].

ضرب بكر بن حمران عنق الشهيد مسلم بن عقيل ورمى برأسه وجسده إلى الارض، فرحم الله سيدنا مسلم بن عقيل الذي أوفى بعهده لدينه وإمامه سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين(عليه السلام) فكان هو أول شهداء الثورة الحسينية المباركة[14].

---

(١) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨٢؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٦٣؛ ابن نما، مثير الاحزان، ص٢٥.

(٢) هو عمر بن سعد بن ابي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأمه ماريه بنت قيس بن معدي كرب بن ابي الكيسم بن السمط بن امرئ القيس من كندة فكان عمر بن سعد بالكوفة قد استعمله عبيد الله بن زياد على الري وهمدان وقطع معه بعثا فلما قدم الحسين بن علي العراق أمر عبيد الله بن زياد عمر بن سعد أن يسير إليه وبعث معه أربعة آلاف من جنده وقال له إن هو خرج إلي ووضع يده في يدي وإلا فقاتله فأبى عمر عليه فقال أن لم تفعل عزلتك عن عملك وهدمت دارك فأطاع بالخروج إلى الحسين(عليه السلام) فقاتله حتى قتل الحسين(عليه السلام) فلما غلب المختار بن ابي عبيد على الكوفة، قتل عمر بن سعد وابنه حفصاً بن سعد، الطبقات، ج٥، ص١٦٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٠.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٨.

(٤) ويذكر الدينوري أن دين مسلم بلغ الف درهم، الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٤١.

(٥) ابو مخنف، المقتل، ص٥٢؛ البلاذري، أنساب الاشراف، ج٢، ص٨٣.

(٦) الفتوح، ج٥، ص١٠٠.

(٧) لم يتعرف لهؤلاء المؤرخين عند ذكر استشهاد مسلم في هذه الصفحات، المسعودي، مروج، ج٢، ص٣٠١؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج٣، ص٤٤؛ ابن طاووس، اللهوف، ص٣٥.

(٨) الجميلي، مسلم بن عقيل، ص٢٢٤.

(٩) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨٢؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٦١.

(١٠) القرشي، حياة الحسين، ج٢، ص٤٠٥.

(١١) المفيد، الارشاد، ج٢، ص٦٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٩؛ ابن نما، مثير، ص٢٧.

(١٢) الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٨٣.

(١٣) الطبري، المصدر نفسه؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص١٠٣؛ الساعدي، نعمه، مسلم بن عقيل الرسول الناصح والسفير الصالح، در الضياء، (النجف الاشرف، ٢٠٠٦هـ)، ص١٤.

(١٤) ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص١٠٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ص٩؛ ابو الفرج، المقاتل، ص٧٢.

أما يوم استشهاده فكان محل خلاف فيذكر الدينوري والطبري والمفيد أن يوم شهادة مسلم هو يوم الاربعاء لتسع مضين من ذي الحجة لسنة ستين للهجرة وكان يوم عرفة[1]، ويذكر المسعودي وابن نما أن يوم شهادته كان هو اليوم الثامن من ذي الحجة لسنة ستين للهجرة يوم خروج الإمام الحسين(عليه السلام) من مكة المكرمة وهو يوم التروية[2].

نزل بكر بن حمران من أعلى القصر فاستقبله ابن زياد فقال له: «ما كان يقول وأنتم تصعدون به فقال له: كان يسبح الله ويستغفره فلما أردت قتله قلت له: الحمد لله الذي أمكنني منك وأقادني منك فضربته ضربة لم تغن شيئاً فقال لي: أما ترى في خدشاً تخدشنيه وفاءً من دمك أيها العبد فبهر ابن زياد وراح يبدي إعجابه وإكباره له قائلاً: أوفخراً عند الموت»[3].

أما هانيء بن عروة فإنه لقي المصير نفسه وهو الشهادة في سبيل الله حيث أخرجه ابن زياد إلى السوق وأوعز إلى رشيد التركي بضرب عنقه في محلة تباع بها الغنم فكان قوله الأخير: «أللهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي فاني إنما تعصبت لابن بنت محمد(صلى الله عليه وآله)»[4].

بعد استشهاد الشهيد مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، أمر عبيد الله ابن زياد والي الأمويين في الكوفة بجر جثتي مسلم بن عقيل وهانيء في الشوارع والأسواق بعد ذلك أمر بصلبهما منكوسين في سوق القصابين[5].

أما الطبري والمزي فيذكر أن هانيء صلب في كناسة الكوفة[6].

أما سبط بن الجوزي فيذكر أن مسلم وهانيء قد صلبا في كناسة الكوفة[7].

يقول المؤرخون أن مسلم بن عقيل هو أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم[8].

أرسل عبيد الله بن زياد رأس الشهيد مسلم بن عقيل ورأس الشهيد هانيء بن عروة وكذلك رؤوس بعض المناوئين إلى يزيد بن معاوية في الشام فضلاً عن رسالة وضّح فيها تفاصيل إخماد ثورة مسلم بن عقيل والأساليب التي استخدمها، وأعلم بن زياد يزيد بنية الإمام الحسين(عليه السلام) للخروج إلى الكوفة[9].

وهكذا سطر هذا القائد والعالم والفقيه سطوراً من الشجاعة والبسالة والدفاع عن الحق ويقول الشاعر في ذلك[10]:

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري
إلى هانيء في السوق وابن عقيلِ
إلى بطل قد هشم السيف وجهه
وآخر يهوى من طمار قتيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا
أحاديث من يسري بكل سبيل
ترَى جسداً قد غير الموت لونه
أحاديث من يسري بكل مسيل
فتىً كان أحيى من فتاة حيّية
وأقطع من ذي شفرتين صقيل
أيركب اسماء الهماليج آمنا
وقد طلبته مذحج بذحول

(١) الاخبار، ص٢٤٢؛ التاريخ، ج٤، ص٢٨٦؛ الارشاد، ج٢، ص٦٢، المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٥٦.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٥٩؛ ابن نما، مثير الاحزان، ص٣٠.
(٣) ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٩٠.
(٤) البلاذري، أنساب الاشراف، ج١، ص١٥٥؛ القرشي، حياة الحسين، ج٢، ص٤١٠.
(٥) ابو مخنف، مقتل، ص٦٠؛ الخوارزمي، مقتل، ج١، ص٢١٥.
(٦) التاريخ، ج٤، ص٢٦٠؛ تهذيب الكمال، ج٦، ص٤٢٦.
(٧) تذكرة الخواص، ص٢٤٢.
(٨) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٠.
(٩) ابو مخنف، المقتل، ص٦٠.
(١٠) يذكر الطبري، انها للفرزدق، الطبري، التاريخ، ج٤، ص٢٦٠؛ أما المسعودي فيقول لشاعر مجهول: مروج الذهب، ج٢، ص٧٢؛ وذكر ابن حزم في جمهرة الانساب انها للأخطل ص٢٢٨؛ أما ابو الفرج، المقاتل، ص٧٢؛ يقول انها لعبد الله بن الزبير الاسدي.